إيبارشيَّة لوس أنجلوس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة

المحاضرات الأولى والثَّانية والثالثة

الآباء كهنة الإيبارشيَّة

كنيسة مار يوحنَّا الحبيب في كوفينا Covina

يوم الخميس ٢٠١٤/٣/١٣م

بعض السِّمات الأساسيَّة لطقوس الصَّلوات الكنسيَّة
وطقوس صلوات خميس العهد الجديد

أوَّلاً: بعض السِّمات الأساسيَّة لطقوس الصَّلوات الكنسيَّة ٢
(١) الطُّقوس الكنسيَّة هي أحداثٌ تحدُث في صميم حياتنا، وليست مجرَّد تصاوير خارجيَّة بالنِّسبة لنا ٢
(٢) طقوس وصلوات الكنيسة هي أداة الالتحام العضوي بين اللِّيتورجيَّا واللاَّهوت ٣
(٣) يبتعد الطَّقس القبطي القديم عن المبالغة في الحركات الطَّقسيَّة، لأنه مُدرك لمضمون النَّص اللِّيتورجي وغايته ٣
ثانياً: خميس العهد الجديد ٤
مقدِّمة عن طقوس صلوات خميس العهد الجديد ٤
بعض العادات القديمة في طقس هذا اليَوم ٥
السِّمات التي تميِّز الطَّقس القبطي في صلوات خميس العهد الجديد ٦
أوَّلاً: صلوات رفع بخور باكر خميس العهد ٦
• لا ذكر لأوشيَّة القرابين ٦
• ولا ذكر لترتيل الذُّكصولوجيَّات ٦
• ولا ذكر للقطعة الرُّومي المختصَّة بيهوذا الإسخريوطي ٧
ثانياً: صلوات لقَّان خميس العهد ٧
ثالثاً: صلوات قُدَّاس الإفخارستيَّا لخميس العهد ١٢
الملاحظة الجوهريَّة الأولى ١٢
الملاحظة الجوهريَّة الثَّانية ١٣
وفيما يلي بعضاً من الملاحظات الطَّقسيَّة في خدمة قُدَّاس هذا اليَوم العظيم ١٣
• تقديم الحَمَل بدون ترديد مرد ''كيرياليسون'' ١٣
• ما يختص بصلوات التَّحليل في قُدَّاس الإفخارستيَّا ١٣
• لا تُقال أوشيَّة القرابين في قُدَّاس الإفخارستيَّا في هذا اليَوم ١٤
• لا يُقال مجمع القدِّيسين في قُدَّاس هذا اليَوم ١٦
• لا يُقال التَّرحيم في خدمة قُدَّاس هذا اليَوم ١٧
• لا يُقال ''أولئك ياربُّ الذين أخذت نفوسهم نيِّحهم ... الخ'' ١٧
• أمَّا من جهة التَّناول من الأسرار المقدَّسة في هذا اليَوم ١٨

الرَّاهب أثناسيوس المقاري

أوَّلاً: بعض السِّمات الأساسيَّة لطقوس الصَّلوات الكنسيَّة

طقس الكنيسة هو تُراثها الشَّعبي، أو هو هويَّة شعبها وشخصيَّته، فالطَّقس الكنسي يحمل في داخله تاريخ جهاد الكنيسة وكفاحها، وآلامها وأفراحها، ببصماتٍ موقَّعة على نغماتٍ وألحان ومراسيم. فطقوس أيَّة كنيسة كما وصلت إلينا اليَوم، ما هي إلاَّ مرحلة من مراحل تطوُّرها. ونمو الطَّقس لا يعني تغيُّره أو تبدُّله، لأنَّ النُّمو يعني الامتداد مع الحفاظ على الأصول كأساس لهذا النُّمو. وكلُّ شيء لا ينمو يموت. ورفض الجمود لا يعني السَّعي وراء كلِّ ما هو جديد ومستحدث.

والطَّقس الكنسي ليس مجرَّد مراسيم عبادة محصورة بين الكاهن والشَّمامسة، في غيبة من مشاركة شعبيَّة فاعلة، بل هو واسطة التحام شعبي بالرَّاعي في خدمة صلاة. فاللِّيتورجيَّا هي حتماً ومن منطوق اللَّفظة نفسها، هي خدمة شعبيَّة، الشَّعب فيها عنصر رئيسي. بل إنَّ الشَّعب هو الحارس الفعلي للتَّقليد والطُّقوس، لأنَّ الأفراد عابرون زائلون، أمَّا الشَّعب ككيان فلا يموت أبداً. فإن حُرم الشَّعب فهم اللِّيتورجيَّا فلن يرى فيها سوى طقوس جميلة تكتنفها السِّريَّة، دون أن يكون له أي دور حقيقي فيها. وأيضاً إن حُرم شعب أي كنيسة فهم ليتورجيتها، فلن يستطيع أن يحفظ هويتها من الضيَّاع، وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يكتنف اللِّيتورجيَّة القبطيَّة الآن، والذي يلزم تداركه بسرعة.

(١) الطُّقوس الكنسيَّة هي أحداثٌ تحدُث في صميم حياتنا، وليست مجرَّد تصاوير خارجيَّة بالنِّسبة لنا

إنَّ أحد المعاني الأساسيَّة لكلمة ''طقس'' ذات الأصل اليوناني τάξις هو 'كيفيَّة ممارسة العبادة في الكنيسة، أي صلواتها، وتسابيحها، وأسرارها، وأعيادها، وفق نظام معيَّن'. أو بمعنى مختصر، هو '**ترتيب** العبادة الكنسيَّة وفق نظام محدَّد'.

وأوَّل إشارة وردت عن كلمة ''طقس'' بمعنى ''ترتيب''، جاءت في رسالة القدِّيس كليمندس الرُّوماني إلى أهل كورنثوس، والتي يعود زمن تدوينها إلى نهاية القرن الأوَّل الميلادي[١] فيقول:

[لنعمل كلَّ شيء بترتيب Taxei في الأوقات المحدَّدة كما أمرنا السيِّد أن نعمل ... الخ][٢].

وفي حين تستخدم الكنيسة القبطيَّة كلمة ''طقس'' اليونانيَّة لتعني بها ''ترتيب''. فإنَّ الكنيسة البيزنطيَّة تستخدم لفظة يونانيَّة أُخرى هي τύπικον (تيبيكون)، وهي مشتقٌ وصفيٌ للَّفظة اليونانيَّة τύπος (تيبوس)، لتعني بها نفس ما تعنيه الكنيسة القبطيَّة من كلمة ''طقس''، حيث تعني كلمة τύπος (تيبوس) في الأدب الآبائي ''المثال أو الشَّكل أو المدلول''. والصِّفة المشتقَّة من الكلمة تعني ''**ما هو مطابق للمدلول**''. كما تعني أيضاً ''**القانون والنِّظام والأصول**''. ومن ثمَّ، يُعرَّف ''التِّيبيكون'' في الكنيسة البيزنطيَّة بأنَّه كتاب الأصول المنظِّمة لإقامة الذَّبيحة الإلهيَّة، والخدم الكهنوتيَّة، وصلاة الفرض (أي صلوات السَّواعي والمزامير). وباختصار فهو ''كتاب تنظيم مراسيم العبادة''.

إذاً، فطقس الكنيسة هو تعبير تعليمها، وحارس تقليدها، ورؤية إيمانها. وهو صلاة الكنيسة الرَّسميَّة، ومضمون أسرارها. **فطقس الكنيسة ليس هو فقط واسطة دخول إلى حضرة المسيح له المجد، بل هو أيضاً مجال هذه الحضرة وديمومتها.** فالإيمان علاقة بالله، والعلاقة بالله لا تكون بغير الصَّلاة، وكلُّ طقس تحكُمه روح الصَّلاة، هو أسهل وسيلة للدُّخول إلى حضرة الرَّب الإله.

فطقوس سرّ المعموديَّة، هي التي بواسطتها نولد بنيناً لله، وبها نلبس المسيح، ثوبَ العُرس، الذي بدونه لا نستطيع دخول الملكوت والحياة الأبديَّة. وطقوس مسحة الميرون المقدَّس، هي التي بواسطتها يسكن فينا الرُّوح القُدُس. وطقوس القُدَّاس الإلهي، هي التي بواسطتها نثبت في المسيح والمسيح يثبت فينا، حينما نتناول جسده ودمه الكريمين. وهكذا في باقي الممارسات اللِّيتورجيَّة.

فالطُّقوس الكنسيَّة ليست تمثيليَّة أو أداة توضيحيَّة للعبادة الكنسيَّة، لأنه إن تحوَّلت الممارسات الطَّقسيَّة إلى رموز توضيحيَّة، فهي حتماً تشوِّه معنى اللِّيتورجيَّا. فبدل أن تكون **الأعمال والطُّقوس اللِّيتورجيَّة أحداثاً بالمعنى الحقيقي لهذه**

1- Lampe, G.W.H., D.D., *A Patristic Greek Lexicon*, p. 1372.

2- *1 Clem.* 40,1

الكلمة، أي أموراً تحدث لنا ولحياتنا بالفعل، ووسيلة لدخولنا إلى الحقيقة التي دشَّنها المسيح والرُّوح القُدُس ومنحنا إيَّاها، تصير مجرَّد تصاوير خارجيَّة بالنِّسبة إلينا، مثلما يبقى دور الممثِّل على المسرح، أمراً خارجيًّا بالنِّسبة إليه.

وكتطبيق عملي لما سبق ذكره، يتَّضح أمامنا أنَّ ما نسمِّيه اليَوم ''تمثيل القيامة'' يخرج عن المفهوم التَّقليدي الصَّحيح لمعنى كلمة ''طقس''. لذلك كان الأقباط في القديم في يوم عيد القيامة، يمارسون هذه الجزئيَّة من الطَّقس ممارسة بسيطة عميقة في آن معاً، حينما يقف الأرشيدياكون في منتصف الكنيسة ويُعلن بصوت جهوري على ثلاث مرَّات: Χριστὸς ἀνέστη ''المسيح قام''، فيجيبه كلُّ الشَّعب: ἀληθὸς ἀνέστη ''حقًّا قام''. ثمَّ تبدأ دورة القيامة.

(٢) طقوس وصلوات الكنيسة هي أداة الالتحام العضوي بين اللِّيتورجيَّا واللاَّهوت

طقس الكنيسة هو أداة الالتحام العضوي بين اللِّيتورجيَّا واللاَّهوت. فاللاَّهوت الشَّرقي خصوصاً هو لاهوت عبادي، أي لاهوت ليتورجي لا ينفصل عن نصوص صلوات الكنيسة وتسابيحها وممارساتها التَّعبديَّة اليوميَّة. فإن انعزل اللاَّهوت عن اللِّيتورجيَّا، يمسى تدريباً عقلانياً للمفكِّرين وحدهم. ولأنَّ طقس الكنيسة هو إيمانُها متجسِّداً، لذلك كانت الحقائق التي يتضمَّنها الطَّقس أساسيَّة في تشرُّب الإيمان وتغلغله في كيان الإنسان. فالطَّقس مياه تجري في نهر العقيدة ليروي شجرة الإيمان، إيمان الكنيسة المسلَّم مرَّة للقدِّيسين.

إنَّ طقوس الكنيسة ما برحت تنمو تدريجياً لتخدم قضايا إيمانيَّة ألحَّت على الكنيسة بظهور هرطقات استوجبت من الكنيسة التَّصدي لها بشرح الإيمان على مستويين: الأوَّل تعليمي، والآخر تطبيقي، **وظلَّ المستوى التَّطبيقي لحفظ الإيمان هو الأكثر ديمومة وتأثيراً عندما صارت ليتورجيَّا الكنيسة هي لاهوتها المرتَّل كلَّ يوم، وأصبحت نصوص صلواتها وتسابيحها هي نفسها قانون إيمانها**. فدراسة تاريخ الطُّقوس لأيِّ كنيسة هي بعينها دراسة لتاريخ إيمانها، ومن هنا كانت الحقائق التي يتضمَّنها الطَّقس الكنسي أساسيَّة في الدِّفاع عن الإيمان وصونه. وإن كان الإيمان عند العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) هو ''قاعدة الحق'' وأيضاً ''قاعدة التَّقوى''، وعند القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) والعلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) هو ''قاعدة الكنيسة''، فالطَّقس الكنسي إذاً هو التَّعبير عن الحق والتَّقوى. أي التَّعبير عن الإيمان[٣].

والتَّجسُّد الإلهي الذي أكمله المسيح في الزَّمن هو الأساس الذي تنبني عليه طقوس كنيسة العهد الجديد، فبالتَّجسُّد صارت العلاقة بين المسيح والكنيسة علاقة محسوسة من خلال طقوس الكنيسة. والبشارة بالإنجيل والتي هي ميلاد في المسيح، وقبول له، وخلاص به، وقيام فيه، تكون من داخل طقس الكنيسة وتقليدها، وليس من مصدر آخر. فالإنجيل خارجاً عن الكنيسة وتقليدها هو مدعاة للتَّشيُّع والتَّحزُّب والانقسام، ولم تكن الهرطقات التي ظهرت في الكنيسة على مدى تاريخها سوى تعليمٌ كتابيٌ في غيبة من الكنيسة وتقليدها.

فالطَّقس الكنسي يفرد للكلمة الإلهيَّة ليتورجيَّة كاملة لا تقل أهميَّة عن ليتورجيَّة السِّر ولا تنفصل عنها، فبالكلمة والسِّر يُستعلن الله فينا. فالكلمة الإلهيَّة في حدِّ ذاتها حيَّة ومحيية، وقادرة على التَّطهير حتى النَّقاوة[٤]، لذلك اعتنى الطَّقس بليتورجيَّة الكلمة كممهِّد ضروري وحتمي لليتورجيَّة السِّر.

(٣) يبتعد الطَّقس القبطي القديم عن المبالغة في الحركات الطَّقسيَّة، لأنه مُدرك لمضمون النَّص اللِّيتورجي وغايته

عندما تضعف علاقة الشَّعب بإلهه، وتغيب المفاهيم الإيمانيَّة الأصيلة، تزداد المبالغة في إبراز المظاهر الخارجيَّة للعبادة بطقس يكفل أكبر تأثير على الفكر والسُّلوك الشَّعبيَّين، فتهبط العبادة إلى مستوى النَّشاط الآلي، وترتبط قيمتها بفخامة المراسيم التي تؤدَّى بها.

فالطَّقس إذاً سيفٌ ذو حدَّين، يمكنه بالواحد إجلاء الإيمان واستعلانه، وبالآخر تشويشه وطمسه. فالطَّقس مثل القانون الذي إذا مارسناه دون إدراك لفحواه، وفهم لأسبابه وغاياته، يؤول بنا حتماً إلى صورة من صُوَر العبوديَّة والقهر. وهكذا إن

٣- سوف أوضِّح لاحقاً، أنَّ التَّقوى في المفهوم الكتابي، تعني أيضاً الإيمان.

٤- انظر: عبرانيين ٤:١٢؛ يوحنا ١٥:٣

اكتفينا بتأدية طقس الكنيسة وممارسته دون أن نفهم ونعي ما نمارسه، نلفى أنفسنا ترزح تحت نير قيود طقسيَّة، تكبِّل حريَّتنا وانطلاقتنا نحو عبادة حيَّة بالرُّوح. أمَّا إن وعينا ما نمارسه من طقوس، فتصبح الطُّقوس الكنسيَّة حينئذ كفيلة بأن تحيي العبادة وتجدِّدها وتنشِّطها دوماً. أي أنَّ العبادة تخلق من الطُّقوس وبالطُّقوس حياة وشركة متجدِّدة دوماً مع الله.

إنَّ فكرة الاحتفال اللِّيتورجي بالتَّذكارات التَّاريخيَّة للأيام الأخيرة من حياة الرَّب بيننا على الأرض بالجسد، ولاسيَّما خلال أسبوع البَصخة المقدَّسة، تعود إلى ظهور المراسيم الطَّقسيَّة في القرن الرَّابع في كنيسة أورشليم، ومنها أخذت تنتشر تدريجياً وببطء إلى كافة أنحاء العالم المسيحي.

فكتاب التَّقليد الرَّسولي لهيبوليتس والذي دوِّن في أوائل القرن الثَّالث الميلادي – على سبيل المثال – لم ترد به أيَّة إشارة إلى يوم الجُمعة العظيمة كيوم احتفال بتذكار الآلام، وإنما هو ببساطة يوم صوم كاستعداد للفصح. بل لم يكن له صرامة صوم يوم السَّبت السَّابق مباشرة ليوم الفصح. ولم تتبنَّ كنيسة روما هذا المنهج إلاَّ في نهاية القرن الخامس أو أوائل السَّادس للميلاد.

ثانياً: خميس العهد الجديد

مقدِّمة عن طقوس صلوات خميس العهد الجديد

وأمَّا عن يوم الخميس من أسبوع البَصخة المقدَّسة، فنسميه ''خميس العهد الجديد''، لأنه يومٌ فاصل بين عهدَين، واحدٌ قديم وآخر جديد، بكلِّ ما تحمل كلمة عهد من معان. والعجيب جدًّا أنْ صار الله نفسه هو علامة هذا العهد الجديد، حين قدَّم لنا ذاته مأكولاً ومشروباً، بجسد ودم كريمين، هما جسد ودم الابن الوحيد. فالرَّب الذي ينجمع فيه كلُّ تاريخ الخلاص منذ آدم، هو الآن يثبِّت عهد حبِّه بدمه وروحه في كأس، هو كأس الخلاص. فصار العهد الجديد، هو الحياة الأبديَّة بعينها، لأنه عهد أبدي بين الله والإنسان، لأنه بضمانة الله نفسه «من يأكلني فهو يحيا بي» (يوحنَّا ٦:٥٧).

في هذا اليَوم العظيم أسَّس الرَّب سرَّين في الكنيسة؛

السِّرُّ الأوَّل هو سرُّ الإفخارستيَّا، سرُّ جسده ودمه، عندما كسره من وراء الزَّمن ليعطيه لتلاميذه جسداً مكسوراً، ودماً مسفوكاً لغفران الخطايا قائلاً لهم: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢:١٩).

والسِّر الثَّاني هو سرُّ غسل الأرجل، سرُّ اتضاعه ومحبَّته، عندما أخذ صورة عبد، فقام عن العشاء، وخلع ثيابه، وانحنى إلى الأرض يغسل أرجل تلاميذه كما يفعل العبيد لسادتهم. فهو فعل خلاصي لا يقل في جوهره وفعله الإلهي عن كلِّ أفعال الرَّب الخلاصيَّة الأُخرى. «إن لم أغسلك فليس لك معي نصيب» (يوحنَّا ١٣:٨).

وكما أوصى الرَّب تلاميذه في عشائه الأخير معهم بقوله: «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢:١٩)، أوصاهم أيضاً بعد أن غسل أقدامهم ونشَّفها بالمنشفة التي كان مؤتزراً بها قائلاً: «فإن كنتُ وأنا السيِّد والمعلِّم، قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً» (يوحنَّا ١٣:١٤، ١٥).

وأمَّا ختام هذين السِّرَّين، فكان **الخطاب الوداعي الأخير وصلاة يسوع للآب**. ثمَّ الخروج إلى **جسثيماني حيث صلاة المعونة لعبور الصَّليب**. واختُتمت أحداث هذا اليَوم **بقُبلة يهوذا الغاشة**، والتي بموجبها أُسلم ابن الإنسان إلى الإنسان الذي لم يأتمنه الرَّب يوماً على نفسه، لأنَّه عرف ما كان في الإنسان[٥].

هذه هي أحداث هذا اليَوم، وهو ما سأعرضُ له من الوجهة الطَّقسيَّة، لنرى كيف يمكن لطقس الكنيسة أن يهبنا كلَّ هبات المسيح وعطاياه مباشرة وبدون عائق، لكي يستد كلُّ فم لا يرى في طقوس الكنيسة سوى رموز وإشارات خارجيَّة، أو مسرحيَّة ليتورجيَّة كما يقولون، أو بالحري يدَّعون.

والنُّقطة الجديرة بالاهتمام أيضاً، هي أنَّ طقوس صلوات يوم خميس العهد الجديد، هو أوضح مثال يشرح لنا كيف أنَّ

٥– راجع: يوحنَّا ٢:٢٥

طقوس الصَّلوات في الطَّقس القبطي القديم، تحتفظ لنا بالتَّقليد الأصيل والفهم الصَّحيح لما تعنيه هذه الطُّقوس، بينما غاب كثيرٌ من هذا التَّقليد الرَّصين في الطَّقس الحالي لصلوات هذا اليَوم المقدَّس.

بعض العادات القديمة في طقس هذا اليَوم

من بين العادات القديمة في هذا اليَوم المقدَّس، أنَّه كان اليَوم الذي يجري فيه **تسميع قانون الإيمان غيباً** للمـــرَّة الأخـــيرة للمُقبلين إلى المعموديَّة، إذ كان اليَوم التَّالي مباشرة هو يوم الاستعداد لبدء مراحل التَّعميد والتي تُستهل بجحد الشَّيطان. فكان تسميع قانون الإيمان في يوم خميس العهد، هو باب الدُّخول لتكميل مراحل التَّعميد.

وكان القُدَّاس الخاص بيوم الخميس الكبير في القرن الرَّابع الميلادي في كنيسة أورشليم يُقام عشيَّة هذا اليَـــوم العظـــيم. وكان يتناول فيه جميع المؤمنين، ثمَّ يذهبون إلى جبل الزَّيتون ليقيموا هناك خدمة خاصة هي مزيجٌ من القراءات والتَّرانيم، إحياءً للوقت الذي قضاه يسوع هناك قبل أن يُقبض عليه ليُسلَّم للصَّلب، وكانوا يعودون إلى المدينة صبيحة يوم الجُمعة.

وقد واظبت كنائس شمال إفريقيا على ممارسة عادة الاحتفال بالإفخارستيا في هذا اليَوم بعد العشاء، إلى عدَّة قرون. ولكن في الشَّرق المسيحي وفي غضون القرن السَّابع الميلادي، تحول الاتجاه إلى إقامة الإفخارستيَّا في صباح هذا اليَوم، مع ضـــرورة الصَّـــوم. وهذا نعرفه من القانون رقم (٢٩) من قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، الذي يقول:

"جاء في قانون لمجمع قرطاجنَّة[٦] أنه لا يجوز أن يقدِّم الأسرار المقدَّسة على المذبح إلاَّ من كان صائماً فيما عـــدا يومـــاً واحداً في السَّنة، وهو الذي نقيم فيه تذكار العشاء الأخير للرَّب. فقد يكون أنَّ أولئك الآباء القدِّيسين قد استحسنوا السَّماح بذلك لعلل مفيدة للكنيسة موافقة لظروف خاصة في بعض الأماكن. ولكن إذ ليس من داعٍ لإهمال المراعاة الدَّقيقة للصَّـــوم، فنحن نأمر بإتِّباع تقليد الرُّسُل والآباء، فلا يجوز أن نكسر الصِّيام في يوم الخميس من الأسبوع الأخير في الصَّوم الكبير فنهتك بذلك حُرمة الصَّوم كلِّه[٧]".

وفي روما وفي القرون المسيحيَّة الأولى، كان يُحتفل في هذا اليَوم بإقامة ثلاثة قُدَّاسات. ولكن القوانين الرُّومانيَّة سمحت فيما بعد، بإقامة إفخارستيَّا واحدة، أي قُدَّاساً واحداً. ومنذ سنة ١٩٥٥م صار يُحتفل بهذه الإفخارستيَّا الواحدة في المســـاء، حيث يُزيَّن فيها المذبح بطريقة احتفاليَّة قبل أن يبدأ القُدَّاس.

واحتفظت الكنيسة القبطيَّة بالموضع التَّقليدي القديم لغسل الأرجل كما فعل الرَّب نفسه، أي **قبل إقامة الإفخارستيَّا** في هذا اليَوم المقدَّس، حيث تتم هذه الخدمة أو هذا الطَّقس في كلِّ الكنائس القبطيَّة صغيرها وكبيرها، فيغسل كبير الكهنة القائم بالخدمة، أرجل الشَّعب، سواء كان هو البابا البطريرك أو الأُسقُف أو أكبر الكهنة الحاضرين. أمَّا الكنيسة البيزنطيَّة فتحتفـــل بهذا الطَّقس في الكاتدرائيَّات فقط، أي في الكنائس التي يُصلِّي فيها الأساقفة، حيث تتمَّم هذه الخدمة **بعد القُدَّاس الإلهـــي**، حيث يقوم الأُسقُف بدور المسيح، فيغسل أرجل اثني عشر كاهناً رمزاً للتَّلاميذ الاثني عشر. ومن ثمَّ فهي ليست خدمة شعبيَّة لدى الكنيسة اليونانيَّة كما في الكنيسة القبطيَّة.

ومن الملامح الطَّقسيَّة أيضاً في هذا اليَوم شرقاً وغرباً، تقديس الميرون المقدَّس، فتستمر الكنيستان اليونانيَّة واللاَّتينيَّة حتى أيامنا هذه، في إجراء هذا الطَّقس في يوم الخميس العظيم مع الفارق أنَّ كلَّ أُسقُف لاتيني يمكنه تقديس الميرون لإيبارشـــيَّته، بينما يقوم بهذا العمل في الكنائس الأرثوذكسيَّة البطريرك أو رئيس أساقفة كلِّ كنيسة مستقلَّة. أمَّا في الكنيسة القبطيَّة فصار هذا اليَوم أيضاً هو يوم تكريس الميرون – اقتداء بالكنيسة البيزنطيَّة – بدءاً من نهاية القرن العاشر الميلادي، وحتى منتصـــف

٦– هو مجمع قرطاجنَّة السَّادس عشر الذي عُقد سنة ٤١٩م.

٧– الرُّسُل (٦٩)، السَّادس (٨٩)، اللاَّذقيَّة (٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢)، قرطاجنَّة (٤٨، ٥٦)، ديونيسيوس (١)، تيموثاوس (٨، ١٠).

قال زونارس: بما أنَّ ربَّنا يسوع المسيح في يوم الخميس الكبير تناول أولاً العشاء حسب العادة ثم أعطى الأسرار الإلهيَّة للتَّلاميذ. شـــاعت في إفريقيا عادة في أن يأكل الشَّعب يوم الخميس الكبير بعض الأطعمة الشَّهيَّة، بعد أن يكون مضى عليهم مدَّة طويلة وهم لا يذوقون إلاَّ الأنـــواع البسيطة من القوت، كالخبز والماء وبعض الخضر والحبوب بدون زيت ولا خمر. ثم يحتفلون بخدمة القُدَّاس الإلهي ويتناولون الأســـرار المقدَّســـة. ويظهر أنَّ هذه العادة شاعت حتى قبل المجمع المسكوني الثَّاني، فقد انتقدها مجمع اللاذقيَّة المكاني الذي عُقد قبله.

القرن العشرين باستثناء ثلاث مرَّات فقط[٨]. وكان تكريسه التَّقليدي القديم في الكنيسة القبطيَّة قبل القرن العاشر، هو في يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير، أي يوم جُمعة ختام الصَّوم[٩].

السِّمات التي تميِّز الطَّقس القبطي في صلوات خميس العهد الجديد

وألخِّصها في صلوات رفع بخور باكر، وقُدَّاس اللقَّان، وقُدَّاس الإفخارستيَّا.

أوَّلاً: صلوات رفع بخور باكر خميس العهد

احتفظت كنائس الصَّعيد – بحسب ما يذكر ابن سباع – بأقدم الطُّقوس لصلوات باكر خميس العهد[١٠]. حيث يتبع هذا الطَّقس القديم البنود التَّالية:

- يدخل الكاهن الهيكل، ويقول صلاة الشُّكر.
- يرفع البُخور بأوشيَّة البُخور، ثمَّ يدور حول المذبح بالصَّلوات الجاري بها العادة.
- يبدأ الكاهن الصَّلاة بقوله: ذُكصابتري ... وأبانا ... وتعالوا نسجد ... والمزمور الخمسون[١١].
- قراءة الإبركسيس بلحنه المعروف.
- الثَّلاثة تقديسات، ثمَّ أوشيَّة الإنجيل، ثمَّ يرفع الكاهن البُخور أمام الإنجيل، ولكن لا يُقبِّل الإنجيل ولا يدور الكنيسة بالبُخور.
- يُقرأ المزمور، والإنجيل، والموعظة التي للقُربان[١٢]، والطَّرح.
- تُكمَّل الصَّلاة مثل سواعي جُمعة البَصخة.

والأمور الجديرة بالملاحظة هنا، هي ما يلي:

• لا ذكر لأوشيَّة القرابين[١٣]

إنَّ معظم مخطوطاتنا القبطيَّة، فقد انزلقت إلى خطأ ذكر هذه الأوشيَّة في رفع بخور باكر. وهو ما انزلقت إليه أيضاً مخطوطات ترتيب البيعة. وقد سبق أن ذكرتُ، أنَّ أقدم مخطوط لترتيب البيعة، وهو برقم (طقس ٧٣) بمكتبة البطريركيَّة بالقاهرة، والمنسوخ سنة ١٤٤٤م، كان يدوِّن مزيجاً من طقوس مختلفة لجهات كثيرة من أنحاء مصر، وعنه نقل اللاَّحقون، فارتبكت الأصول الأولى لطقس رفع بخور باكر خميس العهد.

• ولا ذكر لترتيل الذُّكصولوجيَّات

وليس الذُّكصولوجيَّات فحسب، بل كلُّ تذكارات الشُّهداء والقدِّيسين – باستثناء والدة الإله القدِّيسة مريم – وهو ما

٨– أي مرَّة في سنة ١٣٣٠م، حيث عُمل في عيد القيامة، ومرَّتين في أوائل القرن العشرين سنة ١٩٣٠، و١٩٣١م، حيث عُمل في منتصف الصَّوم الكبير. وأمَّا بعد منتصف القرن العشرين، وفي زمن البابا شنوده الثَّالث، فقد عمل ست مرَّات في الخميس السَّابع من الصَّوم، وهو الخميس السَّابق مباشرة لخميس العهد.

٩– لقد شرحتُ بتفصيل مستفيض هذا الموضوع في كتاب ''سرُّ الرُّوح القدُس والميرون المقدَّس''، فارجع إليه إن رغبت.

١٠– أقدم مخطوطات لكتاب ''الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة'' هو مخطوط يعود إلى منتصف القرن الخامس عشر وبالتَّحديد إلى سنة ١٤٤٨م، وهو المخطوط رقم (لاهوت ٢٢١) المحفوظ في دار الكُتُب المصريَّة بالقاهرة.

١١– هنا موقع ترتيل مزامير باكر من داخل رفع البُخور، بحسب الطَّقس القديم. ولكن مزامير باكر لا تُقال في هذا اليَوم.

١٢– تجدر الإشارة إلى أنَّ كُتُب الطَّقس القديمة، سواء مخطوطات ترتيب البيعة أو الدَّلاَّلات القديمة، تذكر أنَّ موضع العظة يكون دائماً بعد فصل الإنجيل المقدَّس وقبل الطَّرح. أمَّا قطمارسات البَصخة الحديثة فقد وضعت العظات لتُقال بعد النُّبوَّات مباشرة.

١٣– إنَّ ما يذكره ابن سباع عن هذا الطَّقس هو في غاية الأهميَّة، ذلك لأنَّ أقدم مخطوط لكتاب ''مصباح الظُّلمة '' لابن كَبَر (+١٣٢٤م)، وهو برقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، والمنسوخ خلال الفترة (١٣٦٣–١٣٦٩م)، ورقات هذا الجزء من الطَّقس مفقودة فيه. ومن ثمَّ، فليس لدينا أقدم من مخطوط رقم (vet. 12/ شرقي ٤٨٦) بمكتبة أوبسالا Uppsala (السِّويد) الذي تمَّت نساخته في منتصف القرن السَّادس عشر، أي في سنة ١٥٤٦م. وبدراستي التي امتدت إلى عشرات السِّنين في طقوس الكنيسة، أقرِّر بكلِّ وضوح، أنَّ ناسخ مخطوط أوبسالا كان يدوِّن عناصر ليتورجيَّة حديثة عُرفت في زمانه، ولم يذكرها ابن كَبَر الذي تنيَّح في الرُّبع الأوَّل من القرن الرَّابع عشر الميلادي.

انزلقت إليه معظم المخطوطات القبطيَّة. ولكن يظل الطَّقس الحالي حافظاً لبعض أصوله القديمة، حيث:

- لا وجود حتى اليَوم لذُكصولوجيَّة تختص بخميس العهد.
- وتورد قراءة فصل الإبركسيس إلى رفع بخور باكر، لكي تتفرَّغ الكنيسة في قُدَّاس يوم الخميس الكبير للانحصار في حدث تأسيس الرَّب لسرِّ الإفخارستيَّا، سرِّ العهد الجديد، بدون أن تُشرك أحداثاً أُخرى معه. أمَّا الأمر الأكثر أهميَّة فهو أنَّ القراءات الكتابيَّة في أيام الخميس والجُمعة والسَّبت من البَصخة المقدَّسة – باستثناء سَحَر الخميس الكبير – تنحصر فقط في ثلاث قراءات، هي فصل من النُّبوَّات، ثمَّ فصل من رسائل القدِّيس بولس الرَّسول، ثمَّ فصل من الإنجيل المقدَّس، يسبقه آية أو أكثر من المزامير مع هتاف هللويا. أي أن عدم قراءة فصل من أعمال الرُّسُل في القُدَّاس الإلهي، هو الطَّقس السحيق في القدم، الذي عرفته كل الكنائس الشَّرقيَّة الأُخرى[١٤].
- كما يُلغى مجمع القدِّيسين في قُدَّاس خميس العهد.

ومن المعروف أنَّ تذكارات القدِّيسين تتوقَّف في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، بحسب قوانين مجمعيَّة قديمة منذ القرن الرَّابع الميلادي، فبالأولى أيام البَصخة المقدَّسة.

• ولا ذكر للقطعة الرُّومي المختصَّة بيهوذا الإسخريوطي

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه القطعة الرُّومي، قد وردت في أربعة مخطوطات فقط من كتاب ''الجوهرة النَّفيسة''، أقدمها يعود إلى القرن السَّابع عشر الميلادي، وذلك من بين ١٨ مخطوط منتشرة في مكتبات ومتاحف مصر والخارج. ولا زال التَّاريخ الطَّقسي لهذه القطعة الرُّوميَّة يكتنفه كثيرٌ من الغموض، ولعلَّ البحث يقودنا لمعرفة واضعها، والزَّمن الذي دخلت فيه إلى صلوات الكنيسة القبطيَّة.

ثانياً: صلوات لقَّان خميس العهد

إنَّ أقدم إشارة وثائقيَّة عن لقَّان خميس العهد، فتعود إلى القرن السَّابع الميلادي في زمن البابا يوحنا الثَّالث (٦٨٠– ٦٨٩م)[١٥] البطريرك الـ ٤٠ المعروف بيوحنَّا السَّمنودي[١٦]. وقوانين البابا خريستوذولُوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) في القرن الحادي عشر الميلادي، لا ذكر فيها لأيَّة تنبيهات طقسيَّة مختصَّة بلقَّان يوم الخميس الكبير، برغم حديثه عن ملاحظات طقسيَّة دقيقة مختصَّة بقُدَّاس خميس العهد خصوصاً، وجُمعة الآلام عموماً.

والمخطوطات القديمة التي تسبق زمن البابا غُبريال الثَّاني بن تُريك (١١٣١-١١٤٥م)، حين تشير إلى القراءات المختصَّة بأحد الشَّعانين، ويوم خميس العهد، وسبت الفرح[١٧]، لا تشير إلى أيَّة قراءات خاصة باللَّقان، بل لا ذكر في المخطوطات لطقس غسل الأرجل كطقس قائم بذاته، قبل القرن الثَّاني عشر الميلادي.

١٤– المراحل الأولى لخيانة يهوذا كانت قد بدأت قبل تأسيس الرَّب لسرِّ جسده ودمه في العُليَّة مع تلاميذه القدِّيسين. وهكذا سبقت الكنيسة فأعلنت عقاب خيانة الخلاص قبل أن تدخل مراحله الأخيرة والتي أكملها الرَّب بموت الصَّليب.

١٥– وهو من دير أنبا مقار. وظلَّ على الكرسي تسع سنوات. ومقرُّه البطريركي، هو الكاتدرائيَّة المرقسيَّة بالإسكندريَّة.

ويذكر كتاب ''تاريخ البطاركة'' أنه عندما أُطلق سراحه من الحبس بواسطة عبد العزيز في يوم خميس العهد، اصطحبه الشَّعب بالتَّرتيل والغناء حتى دخل إلى البيعة، وصلَّى على القصريَّة، وغسل أرجل الشَّعب، ثمَّ قدَّس.

١٦– عُرف لقَّان خميس العهد في كنيسة الإسكندريَّة كطقس كنسي، قبل أن يُعرف لقَّان عيد الغطاس فيها، لأنه لا يوجد لدى الأقباط أيَّة وثائق قديمة تشهد بأنهم مارسوا طقس تبريك الماء في عيد الغطاس حتى نهاية القرن السَّابع الميلادي. وهو ما عرفناه من القدِّيس يعقوب (٦٣٣-٧٠٨) الرَّهاوي الذي قضى في الإسكندريَّة عدَّة سنوات.

كما أنَّ البطريرك السِّرياني ميخائيل الكبير كَتَبَ سنة ١١٧١م يقول: ''إنَّ طقس تبريك الماء، قد تأسَّس في البداية في أنطاكية، ولكن مراسيمه لم تدوَّن بتحديد، سوى في زمن يعقوب الرَّهاوي (٦٣٣-٧٠٨م)، ورفيقه جرجس أُسقُف العرب ... **ولم يرد أيُّ ذكر عنه في كنيسة الإسكندريَّة في مصر حتى اليَوم**''.

Cf. Le premier dom Fernand Cabrol et le R.P. dom Henri Leclercq, *Dictionaire d'archéologie chrétienne et de liturgie (DACL)*, t. 2, Paris, 1925, p. 706.

١٧– لم تكن قراءات أيام البَصخة المقدَّسة، الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء قد تحدَّدت حتى هذا الوقت.

أي أنَّ لقَّان خميس العهد معروف في الكنيسة القبطيَّة منذ ما قبل القرن السَّابع الميلادي على الأقل، وأمَّا لقَّان عيد الغطاس فلم يُعرف في الكنيسة قبل نهاية القرن الثَّاني عشر الميلادي أو بداية الثَّالث عشر[١٨]. وهو نفس التَّاريخ تقريباً الذي عُرف فيه لقَّان عيد الرُّسُل. أي أنَّ لقَّان خميس العهد معروف في الكنيسة القبطيَّة قبل لقاني الغطاس والرُّسُل بما يقرُب من خمسة إلى ستَّة قرون. هذا يريك الأهميَّة التي كانت توليها الكنيسة القبطيَّة للقان خميس العهد، حيث غسل الرَّب أرجلنا!!

ولقد عثرتُ في يناير سنة ٢٠١٢م على مخطوط برقم (قبطي ١١٢) (بورجيا) بمكتبة الفاتيكان (١٩٣ ورقة)، اهتم ابن كَبَر بجمع مادته. وتاريخ نساخته كما ورد في ورقة (١٧٣ج) هو ١٠٢٤ شهداء/ ١٣٠٨م[١٩]. وقدَّمت عنه ورقة بحثيَّة في مؤتمر التُّراث العربي المسيحي العشرون الذي عُقد في أواخر فبراير سنة ٢٠١٢م، بكُليَّة اللاَّهوت الإنجيليَّة بالقاهرة.

ولم يكن أحدٌ من عُلماء اللِّيتورجيَّا في كلِّ أنحاء العالم، يعرف عنه شيئاً حتى ذلك الوقت. فلم يذكره الأب جورج جراف G. Graf في كتابه الشَّهير ''تاريخ الأدب العربي المسيحي''[٢٠]، ولا في أيِّ كتابات أُخرى له. ولم يعرفه الدُّكتور بورمستر O.H.E. Burmester في أبحاثه عن طقس أسبوع البَصخة المقدَّسة، ولم يرد ذكره في فهرس المخطوطات القبطيَّة لمكتبة الفاتيكان، والذي عمله كلٌّ من العالمَين، أديلفس هيبلينك Advlphvs Hebbelynck وأرنولدس لانشوت Arnoldvs Van Lantschoot سنة ١٩٣٧م[٢١]، حيث يتوقَّف هذا الفهرس المذكور عند المخطوط رقم (قبطي ١٠٨) بهذه المكتبة.

ويورد مخطوط ''المجموع المبارَك'' لابن كَبَر، طقوس وصلوات لقَّان خميس العهد (٣٠ج-٣٧ظ) إلى جانب طقوس وصلوات لقاني عيدي الغطاس والرُّسُل. بالإضافة إلى موضوعات ليتورجيَّة أُخرى كثيرة[٢٢].

وأمَّا ما يختص بلقَّان خميس العهد الذي نحن بصدده الآن، فطبقاً لمخطوط ''المجموع المبارك'' تتَّضح لنا الحقائق التَّالية:

(١) يسدُّ هذا المخطوط جانباً من النَّقص الذي لحق بكتاب ''مصباح الظُّلمة'' طبقاً لمخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، بسبب ضياع بعض ورقاته، عن طقس البَصخة المقدَّسة، ولاسيَّما فيما يختص بلقَّان خميس العهد.

(٢) بحسب مخطوط ''المجموع المبارك'' ورقة (٣٨ج)، فإنَّ **صلوات لقَّان خميس العهد كانت تعقُب تقديم الحَمَل**. وهو الطَّقس القديم في الكنيسة القبطيَّة. حيث يذكر المخطوط ما يلي: ''ترتيب القصريَّة في خميس البَصخة. تُعدُّ قصريَّة في وسط

١٨- وأرى أنَّ سبب تأخُّر لقَّان عيد الغطاس في الكنيسة القبطيَّة، هو أنَّ الأقباط قد اعتادوا أن يغطسوا في مياه النِّيل قبل بدء قُدَّاس العيد. واستمرَّت هذه العادة قروناً.

وقد ألقيتُ محاضرة على رُهبان دير أنبا مقار بعنوان: ''الأصول الأولى لقُدَّاس الماء في عيد الغطاس في الكنيسة القبطيَّة''. وأوضحت فيها – ولأول مرَّة في الكنيسة القبطيَّة – أنَّ قُدَّاس الماء في عيد الإبيفانيا مأخوذ من ''إفشين الظُّهور الإلهي'' لصفرونيوس بطريرك أورشليم الذي عاش في الفترة من (٥٦٠-٦٣٨م)، والذي صار بطريركاً لأورشليم سنة ٦٣٤م. وهي صلاة على ماء لقَّان الغطاس، وليس ماء المعموديَّة.

انظر: كتاب الميناون، الجزء الثَّاني، طبع بإجازة من ألكسندروس الثَّالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، للرُّوم الأرثوذكس، دمشق سنة ١٩٥٨م، ص ٨٠ تحت يوم ٦ كانون الثَّاني.

فالكنيسة البيزنطيَّة تعرف الصَّلاة على الماء في عيد الإبيفانيا منذ القرن السَّادس الميلادي. ولكن قُدَّاس الماء في عيد الإبيفانيا دخل إلى الكنيسة القبطيَّة في أواخر القرن الثَّاني عشر الميلادي أو أوائل الثَّالث عشر. فليست هناك أدلة وثائقيَّة تفيد ممارسة قُدَّاس لقَّان الغطاس في مصر في الثَّمانية قرون الأولى. وهو ما عرفناه من القدِّيس يعقوب (٦٣٣-٧٠٨) الرَّهاوي الذي قضى في الإسكندريَّة عدَّة سنوات. ويذكر البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٦-١١٩٩م) سنة ١١٧١م أنَّ طقس تبريك الماء في عيد الغطاس لم يكن معروفاً في مصر في زمانه، أي في القرن الثَّاني عشر الميلادي.

ففي هذه الفترة صاغ أحد النُّسَّاخ الأقباط إفشين البطريرك صفرونيوس ليوائم العناصر اللِّيتورجيَّة لقُدَّاس الإفخارستيَّا، حيث أضاف على هذه الصَّلاة مردَّات الشَّماس: أيها الجلوس قفوا، وإلى الشَّرق انظروا. ومردَّات الشعب: الشَّاروبيم يسجدون لك ... الخ، وأيضاً: كرحمتك يارب وليس كخطايانا.

١٩- أي قبل نياحة ابن كَبَر بست عشرة سنة، وبعد رسامته كاهناً على كنيسة العذراء المعلَّقة بثماني سنوات. وعلى ذلك، فكتاب ''المجموع المبارَك''، قد نُسخ قبل كتاب ابن كَبَر الشَّهير ''مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة'' بحوالي اثني عشر سنة. كما أنَّ المخطوط الذي يحويه هذا ''المجموع المبارَك''، هو أقدم من أقدم مخطوط معروف لكتاب ''مصباح الظلمة'' بحوالي خمسين سنة.

20- Georg Graf (Von), *Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur (GCAL)*, Erster Band-Fünfter Band, Città del Vaticano, 1944, 1947, 1949, 1951, 1953.

21- Advlphvs Hebbelynck et Arnoldvs Van Lantschoot, *Codices Coptici Vaticani Barberiniani Borgiani Rossiani, tomvs I, Codices Coptici Vaticani*, 1937.

٢٢- أوردتُها بالتَّفصيل في الطَّبعة الثَّانية من كتاب ''الميلاد البتولي والظُّهور الإلهي''

البيعة، ويُرفع القُربان على المذبح، ويدورون بالبُخور. ويقف شمَّاس قُدَّام المذبح يحرسه. ويبتدئون على اللقَّان بأوشيَّة الشُّكر ويُرفع البُخور ... الخ''.

وقد أبطل هذه العادة، البابا يؤانس السَّابع (١٢٧١-١٢٩٣م) البطريرك الـ ٧٨ الشَّهير باسم ابن أبي السَّعيد السُّكَّري، وذلك خشية من عارض يحدُث للقُربان والخمر وهما متروكان على المذبح[٢٣].

(٣) يؤكِّد مخطوط ''المجموع المبارك''، وغيره من المخطوطات الأُخرى، على أنَّ عدم **الدَّوران بالبُخور في الكنيسة أثناء صلوات اللقَّان**، هو الطَّقس الأقدم، وهو نفس ما يشرحه ابن سباع، فيذكر: ''... ويقول (الكاهن) صلاة الإنجيل، (و) يرفع البُخور ولا يُقبِّل الإنجيل في ذلك اليَوم، ولا يدور الكنيسة بالبُخور لأجل قُبلة يهوذا''. أمَّا المخطوطات الأكثر حداثة، فيقول بعضها بدوران البُخور في الكنيسة في أثناء ترتيل المزمور الخمسين - الذي يعقب حاليًّا أرباع النَّاقوس - وبعضها الآخر بدوران البُخور في الكنيسة أثناء قراءة فصل البولس.

(٤) طبقاً للبند السَّابق ذكره، يتَّضح أنَّ عدم التَّقبيل عند ابن سباع يختص **بعدم تقبيل الإنجيل فحسب**. وهو نفس ما تدعمه بعض المخطوطات الأُخرى، مثل مخطوط رقم (طقس ٢٦٠) بمكتبة دير القدِّيس أنبا أنطونيوس (١١٨٤م).

وأودُّ بهذا الخصوص أن أشير إلى أمر طقسي مهم، يختص بمرد الشَّماس قبل بدء قُدَّاس اللقَّان. فهذا المرد بحسب الطَّقس الأصيل هو: ''قفوا بخوف وإلى الشَّرق انظروا، ننصت''. ولكن في غضون القرن الثَّالث عشر الميلادي، سبق هذا المرد الأخير، قول الشمَّاس: ''تقدَّموا (قدِّموا) على الرَّسم''. وهذه الإضافة الأخيرة قد جرت على مرد الشمَّاس، بعد أن ضاع مفهوم المرد، كونه مردًّا يختصُّ بتقديم قرابين، وليس التَّقدُّم إلى التَّناول، ومن ثمَّ فقد أصبح الشمَّاس يقول: ''تقدَّموا على الرَّسم'' بدلاً من قوله ''قدِّموا على الرَّسم''.

وبإلغاء مرد الشَّماس: ''قبلوا بعضكم بعضاً ...'' - إذ لا وجود للقُبلة في خدمة هذا اليَوم - فإنَّ الأمر الطَّبيعي ألاَّ يوجد أيضاً أسبَسموس آدام، لأنَّ الأسبَسموس الآدام مرتبطٌ حتماً بالقُبلة المقدَّسة. وهذا هو ما يؤكِّده مخطوط 'المجموع المبارَك' لابن كَبَر، ومعه مخطوطات أُخرى أيضاً[٢٤].

وبسبب عدم وجود للقُبلة المقدَّسة في هذا اليَوم، فلا وجود لـ ''صلاة الصُّلح''Reconciliation أو ''صلاة ما قبل الأنافورا'' وهي الصَّلاة التي تُعرف في الطَّقس القبطي القديم باسم ''صلاة التَّقبيل المقدَّس''[٢٥]، أو ''صلاة التَّقبيل للآب''[٢٦]، أو ''صلاة التَّقبيل''[٢٧]. أمَّا في الطَّقس السِّرياني الأنطاكي، فتُعرف باسم ''صلاة السَّلام''، أو ''صلاة قُبلة السَّلام''[٢٨]. وصلاة الصُّلح هي صلاة تعرفها كلُّ الطُّقوس على اختلافها، كصلاة تسبق إعلان القُبلة المقدَّسة.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنَّ القُبلة الممنوعة، هي القُبلة الطَّقسيَّة في الكنيسة القبطيَّة في هذَين اليومَين، وهي كذلك أيضاً في الكنيستَين اليونانيَّة واللاَّتينيَّة[٢٩]. أمَّا الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكيَّة، فتمنع هذه القُبلة طيلة أسبوع البَصخة المقدَّسة.

وهكذا نجد أنَّ السَّبب الرَّئيسي في توقُّف القُبلة المقدَّسة، وتوقُّف صلاة الصُّلح، هو أنَّه قبل الصَّليب كانت الكنيسة

٢٣- وهو ما ورد في حاشية بمخطوط رقم (طقس ٣/٨١) بدير السيِّدة العذراء برموس، وتاريخ نساخته ٢٢ أمشير سنة ١٠٤٥ للشُّهداء (الخميس ١٦ فبراير ١٣٢٩م)

انظر: مهندس رفيق عادل، مقال بعنوان: الإطار العام لشكل وترتيب طقس البَصخة المقدَّسة في القرن الرَّابع عشر، في مجلَّة مدرسة الإسكندريَّة، السُّنَّة الخامسة ٢٠١٣م، العدد الأوَّل، ص ٢٠٠

٢٤- مثل مخطوط رقم (طقس ٣٥٩/ سميكه ١٤٣/ حراف ١٦٨) (١٣٠ ورقة) بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة، بتاريخ ٢٨ أبيب سنة ١٠٨٧ شهداء (الثُّلاثاء ٢٢ يوليو ١٣٧١م).

٢٥- انظر: يوحنَّا بن أبي زكريَّا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٦

٢٦- انظر: مخطوط الفاتيكان رقم (١٧).

٢٧- انظر: مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

٢٨- هنا يتَّضح لنا العلاقة الوثيقة بين صلاة الصُّلح، وبين القُبلة المقدَّسة التي تعقبها مباشرة. وهو ما يذكِّرنا بالنِّداء القديم للشمَّاس والذي بموجبه يمتنع من التَّناول من كان في قلبه وجْد على أخيه، أو متخاصم معه.

29- Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church*...,p. 257.

متغرِّبة عن المسيح، ولم تكن تعرفه بعد. ومن ثمَّ، فإنَّ السَّلام والمصالحة بين الكنيسة التي على الأرض، وتلك التي في السَّماء، لم يكونا قد حدثا بعد، لأنَّ الرَّب لم يُصلب بعد. وهو ما يشرحه القدِّيس بولس الرَّسول بقوله: «إنَّكم (أيها الأُمم) كنتم في ذلك بدون مسيح، أجنبيِّين عن رعويَّة إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم، وبلا إله في العالم. ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح. لأنَّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السِّياج المتوسِّط أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويُصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصَّليب، قاتلاً العداوة به. فجاء وبشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين، لأنَّ به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غُرباء ونزلاء، بل رعيَّة مع القدِّيسين، وأهل بيت الله» (أفسس٢:١٢-١٩).

(٥) يوضِّح مخطوط ''المجموع المبارَك'' أنَّ **الأواشي السَّبع** التي تسبق قُدَّاسات اللقَّان في الكنيسة القبطيَّة هي إضافات متأخِّرة. وهو ما تشهد به معظم المخطوطات الأُخرى التي اطَّلعت عليها.

ويقول دكتور بورمستر O.H.E. Burmester في حديثه عن لقَّان عيد الرُّسُل: إنَّ هذه السَّبع أواشي لم توجد في مخطوط رقم (١١٥٩) بالمتحف القبطي بالقاهرة، والذي يعود تاريخه إلى القرن الرَّابع عشر[٣٠]. ومن المعروف أنَّ لقَّان عيد الرُّسُل الذي وضعه أنبا بطرس أُسقُف البهنسا في القرن الثَّاني عشر قد اعتمد للغاية على نفس ترتيب لقَّان خميس العهد.

وفي الحقيقة، فإنَّ عدم وجود هذه الأواشي ضمن صلوات لقَّان خميس العهد، هو أمرٌ يتماشى مع التَّقليد اللِّيتورجي العام في خدمة هذا اليَوم المقدَّس.

إذ كيف يمكن مثلاً أن نُصلِّي **أوشيَّة المسافرين** في عيد سيِّدي مثل يوم خميس العهد، وهو أحد الأيام التي يتوقَّف فيها المسيحيُّون عن العمل، ولا زال هذا الوضع قائماً حتى اليَوم؟ وكان الأصلُ في ذلك هو توقُّف المسيحيِّين عن العمل طيلة أسبوع البَصخة المقدَّسة للتَّفرُّغ لصلوات الكنيسة.

بالإضافة إلى أنَّ المصادر الطَّقسيَّة القديمة – أي ابن سباع، وابن كَبَر – لا تذكر أن تُقال **أوشيَّة المرضى** في رفع بخور باكر هذا اليَوم. كما أنَّ ''مخطوط 'المجموع المبارَك' لابن كَبَر'' لا يذكر هذه الأوشيَّة في لقَّان خميس العهد، ولكنَّه ذكرها فقط في لقَّان عيد الغطاس. ويبدو أنَّ ناسخ ''مخطوط أوبسالا'' قد ذكرها في لقَّان خميس العهد، نقلاً عن لقَّان عيد الغطاس[٣١]. أو نتيجة لتطوُّر طرأ على الطَّقس في القرن السَّادس عشر، ممَّا يعني أنَّ هذا التَّضارب في التَّنبيهات الطَّقسيَّة، ربَّما يكون تدويناً لأكثر من طقس لأكثر من جهة. وهو ما نجده واضحاً في كُتُب الطَّقس المطبوعة، متمثِّلة في كتاب دلاَّل جمعة الآلام، وأيضاً كتاب اللقَّان والسَّجدة، اللَّذَين يقولان بترديد أوشيَّة المرضى في خدمة هذا اليَوم.

وإنَّ الدَّليل الأكثر أهميَّة، والذي يؤكِّد أنَّ هذه الأواشي قد أضيفت بغير حذق طقسي، هو أنَّه من أهم الملامح الطَّقسيَّة في هذا اليَوم، عدم وجود تذكارات للقدِّيسين أو للرَّاقدين. فلا وجود لجمع القدِّيسين في القُدَّاس الإلهي، ولا لأرباع النَّاقوس التي تذكر أسماء قدِّيسين، ولا ذكر لذُكصولوجيَّات القدِّيسين، ولا يُعمل ترحيم في القُدَّاس الإلهي في هذا اليَوم، ولا يُقول الكاهن في القُدَّاس ''أولئك يارب الذي أخذت نفوسهم نيِّحهم في فردوس النَّعيم ... الخ''. ناهيك عن عدم ترديد للهيتنيَّات، وهي العنصر الأكثر حداثة بين كافة العناصر اللِّيتورجيَّة السَّابق ذكرها.

ومن ثمَّ، فإنَّ وجود **أوشيَّة الرَّاقدين** ضمن هذه الأواشي التي تُقال في صلوات اللقَّان، هو ما يؤكِّد أنَّ هذه الأواشي هي إضافة طقسيَّة غير حاذقة، وخارجة عن التَّقليد القديم الذي ساد في طقوس صلوات هذا اليَوم المقدَّس.

ثمَّ ما هو معنى وجود **أوشيَّة القرابين** هنا؟ فهذه الأوشيَّة تختص بالصَّلاة من أجل الذين يقدِّمون قرابينهم لتتميم خدمة

30- Burmester, O.H.E., *The Two Services of The Coptic Church Attributed to Peter, Bishop of Behnasa*, in *Le Muséon*, p. 5.
Cf. also, Brightman, F.E, M.A., *Liturgies, Eastern and Western*, vol. 1, *Eastern Liturgies*, Oxford, 1967, p. 160, 161.

٣١- هنا تتَّضح لنا أهميَّة ''مخطوط 'المجموع المبارَك' لابن كَبَر''، لأنه يعوِّض جانباً من الورقات المفقودة من كتاب ''مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة'' لابن كَبَر، طبقاً لـ ''مخطوط باريس''، والخاصة بطقس البَصخة المقدَّسة.

الإفخارستيَّا. إذ ليست هناك قرابين يُقدِّمها الشَّعب في لقَّان خميس العهد. وبرغم ذلك، فإنه من أهم الملامح الطَّقسيَّة في خدمة هذا اليَوم – وبحسب الطَّقس القديم – أنَّه **لا تُقال أوشيَّة القرابين حتى في قُدَّاس الإفخارستيَّا في هذا اليَوم**. وهو ما سوف أشرحه عند الحديث عن سمات قُدَّاس الإفخارستيَّا في يوم خميس العهد الجديد.

(٦) يوضِّح مخطوط "المجموع المبارك" لابن كَبَر أنَّ **الحوار اللِّيتورجي الذي يسبق قُدَّاس اللقَّان** – على مثال قُدَّاس الإفخارستيَّا – غير موجود. فهذا الحوار اللِّيتورجي ليس مكانه قُدَّاسات اللقَّانات. وهو غير موجود أيضاً في كلِّ المخطوطات القديمة قبل القرن الرَّابع عشر التي اطَّلعت عليها. وذلك لأنه بحسب التَّقليد الكنسي القديم، ومنذ القرن الثَّالث الميلادي على الأكثر، أنَّ قول الكاهن "ارفعوا قلوبكم"، لا تُقال إلاَّ في قُدَّاس الإفخارستيَّا فقط[٣٢]. وأيضاً قول الكاهن "أجيوس" ثلاث مرَّات، غير موجود.

(٧) بخصوص **صلوات التَّحليل**، وبحسب الطَّقس القديم لهذا اليَوم، تتوقَّف جميع صلوات التَّحليل، سواء في قُدَّاس اللقَّان أو في قُدَّاس الإفخارستيَّا، في خدمة هذا اليَوم. وإنَّ خلُو قُدَّاس اللقَّان ليوم الخميس الكبير من أيِّ صلوات تحليل في مخطوط 'المجموع المبارَك' لابن كَبَر، يدعم هذا الطَّقس القديم لخدمة هذا اليَوم. ولكن بعد فترة من الوقت اهتز هذا المفهوم، فأشارت المخطوطات الأكثر حداثة إلى أنه يُقال التحليلان الأوَّل والثَّاني للابن "نعم ياربُّ ياربُّ ..."، و "أنت ياربُّ ..."، أمَّا التَّحليل الثَّالث الذي بدايته: "السيِّد الرَّب يسوع المسيح الابن الوحيد، وكلمة الله الآب ..." فلا يُقال، وكذا أيضاً تحليل الخُدَّام في قُدَّاس الإفخارستيَّا "عبيدك خُدَّام هذا اليَوم ..." لا يُقال أيضاً[٣٣]. وهو ما يتماشى مع التَّقليد العام لهذا اليَوم، حيث يرد في هذين التحليلين، ذكر الآباء الرُّسُل القدِّيسين الذين بواسطتهم أعطى الرَّب للذين يعملون في الكهنوت أن يغفروا الخطايا على الأرض. ولكن الرَّب لم يبذل دمه على الصَّليب بعد، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة. وذكر أيضاً لكثير من الآباء والقدِّيسين. وهو ما يتعارض مع التَّقليد العام لخدمة هذا اليَوم.

وهكذا، وبممارسة طقسيَّة حاذقة، عرفتها الكنيسة القبطيَّة منذ القديم، وقنَّنتها بقانون آبائي واضح منذ القرن الحادي عشر، وهو توقُّف صلاة التَّحليل في جُمعة الآلام عموماً، وفي يوم خميس العهد خصوصاً، ندرك عظم الصَّنيع الذي صنعه الرَّب معنا بصليبه المحيي، حينما يُصلِّي لنا الكاهن في كلِّ مرَّة في الكنيسة صلاة التَّحليل من الخطايا، فتُغسل خطايانا وآثامنا وتعدِّياتنا بدم الصَّليب.

وهنا أذكرُ أيضاً القانون رقم (١١) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧–١٠٧٧م)، والذي يقول: "... وبعد فراغ القُدَّاس في يوم أحد الزَّيتونة، يُقرأ الإنجيل، وترحيم الموتى بعد رسالة بولس، المعروفة برسالة الموتى[٣٤]. **ويُقرأ بعد ذلك التَّحليل على جميع الشَّعب، لأنَّ الجُمعة الكبيرة**[٣٥] **لا يجوز فيها تحليل** ولا ترحيم[٣٦] ولا تجنيز إلى أن ينقضي عيد الفصح".

إذاً فالتَّقليد الكنسي العام منذ القديم، يقول بتوقُّف صلاة التَّحليل في أسبوع البَصخة المقدَّسة، وهو نفس الأمر الذي ينطبق تماماً على خدمة يوم الخميس الكبير، سواء في قُدَّاس الماء، أو في قُدَّاس الإفخارستيَّا.

(٨) يوضِّح لنا مخطوط "المجموع المبارَك" أنَّ كنيسة السيِّدة العذراء المعلَّقة، وهي المقر البطريركي للكنيسة القبطيَّة على مدى قرنين ونصف[٣٧] قبل تاريخ المخطوط المذكور (أي ١٣٠٨م)، كانت تُصلِّي لقَّان خميس العهد – مع غيرها من الكنائس الأُخرى – طبقاً للنَّص الوارد فيه، وذلك منذ أن عُرف هذا اللقَّان في الكنيسة، وحتى أواخر القرن الرَّابع عشر

٣٢– انظر التَّقليد الرَّسولي (٢٦:١٦–٢١).

٣٣– لقد حدث ارتباك شديد بين معظم المخطوطات وأيضاً الكُتُب المطبوعة في هذه الجزئيَّة من الصَّلاة، باستثناء مخطوطات قليلة جدًّا، وكتاب اللقَّان والسَّجدة المطبوع سنة ١٩٢١م.

٣٤– هذه الخدمة وردت بكاملها في مخطوط رقم (Add. 5997)، (ص ١٦ ظهر–٢٠ وجه): وفصل الإنجيل هو من (يوحنَّا ١٩:٥–٣٠)، ورسالة البولس هي من رسالة بولس الرَّسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١كورنثوس ١:١٥–٢٧، ٣٩–٥٨).
Cf. O.H.E. Khs Burmester, *op. cit.*, *Le Muséon* t. XLV (1932), p. 80, n. g.

٣٥– الجُمعة الكبيرة أي أسبوع البَصخة المقدَّسة.

٣٦– باستثناء يوم السَّبت الكبير، كما سيأتي في القانون الثَّالث عشر من نفس هذه القوانين.

٣٧– وذلك خلال ثلاث سنوات في أواخر القرن العاشر. ومنذ منتصف القرن الحادي عشر تقريباً حتى آخر القرن الثَّالث عشر.

على أقل تقدير. أمَّا **ما تُصلِّيه عموم الكنائس القبطيَّة اليَوم، فهو قُدَّاس آخر للقَّان خميس العهد، يعود بالتأكيد إلى ما بعد القرن الرَّابع عشر.**

بل إنَّ قُدَّاس لقَّان خميس العهد، كما ورد في مخطوط ''المجموع المبارَك'' باهتمام ابن كَبَر، ظلَّ يُنسخ في مخطوطات حتى إلى زمن البابا كيرلُّس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م)[٣٨]، وهو البطريرك الـ ١١٢ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة.

ثالثاً: صلوات قُدَّاس الإفخارستيَّا لخميس العهد

يصاحب قُدَّاس يوم خميس العهد عدَّة ملامح ليتورجيَّة، تميِّزه عن باقي قُدَّاسات السَّنة اللِّيتورجيَّة، ويشترك معه في بعض هذه الملامح، قُدَّاس سبت الفَرَح. لأنَّه من المعروف في الطَّقس القبطي، أنَّ اللِّيتورجيَّة القبطيَّة للقُدَّاس الإلهي، وأعني بها الأنافورا، والتي تبدأ من قول الكاهن: الرَّب مع جميعكم. لا ينالها أيُّ تغيير في تسَلسُل سياقها مع تغير المناسبة الكنسيَّة، إذ يتشكَّل طقس المناسبة الكنسيَّة في صلوات رفع البُخور، وفي قُدَّاس الكلمة، وفي ألحان التَّوزيع، أي أثناء التَّناول من الأسرار المقدَّسة، فحسب. وهذا عكس الكنيسة الغربيَّة التي تؤثِّر مناسباتها الكنسيَّة على مضمون النَّص اللِّيتورجي للقُدَّاس الإلهي.

ذلك لأنَّ الاحتفال الطَّقسي القبطي بالمناسبة الكنسيَّة، هو بالدَّرجة الأولى احتفالٌ شعبي بمشاركة كلِّ الشَّعب. إلاَّ أنَّ قُدَّاس يوم الخميس الكبير في الكنيسة القبطيَّة لا يخضع لهذه القاعدة، وذلك لسبب جوهري أُوجزُهُ في الفقرات التَّالية، وأُسهبُ في شرحه على مدى هذا الفَصل.

فهناك ملاحظتان جوهريَّتان يلزم أن نضعهما نصب أعيننا دائماً، ونحن نمارس طقوس صلوات أسبوع البَصخة المقدَّسة عموماً، ويومَي الخميس والجُمعة من البَصخة المقدَّسة على وجه الخصوص.

الملاحظة الجوهريَّة الأولى

لقد درجنا على القول: إنه لا تقام الذَّبيحة الإلهيَّة في ثلاثة أيام البَصخة؛ الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء، معلِّلين سبب ذلك، بأنَّ خروف الفصح كان يُشترى في اليَوم العاشر من نيسان، ويبقى تحت الحفظ ثلاثة أيام. وهو ما تقول به كافة الكُتُب الطَّقسيَّة والكنسيَّة.

ولكن هذا القول تعوزه الدِّقة أو التَّصحيح، لأنَّه في الحقيقة لا تُقام الذَّبيحة الإلهيَّة أيضاً يوم الجُمعة العظيمة، ومن ثمَّ، تعترضنا هنا ذبيحة يوم الخميس الكبير، فما هو الأمر إذاً بخصوصها؟

المُفتَرَض، هو أنَّه من بعد انتهاء صلوات قُدَّاس أحد الشَّعانين، ودخول الكنيسة في معايشة حياة المسيح لحظة بلحظة في أسبوعه الأخير على الأرض، لا يمكن للكنيسة أن تقيم الذَّبيحة الإلهيَّة إلاَّ بعد اكتمال ذبيحة الصَّليب، أي بعد أن يقول الرَّب على الصَّليب «قد أُكمل»، ويُسلِّم الرُّوح، ويُطعَن في جنبه بالحربة، فيخرج من جنبه المطعون دمٌ وماءٌ؛ ماء معموديَّتنا، ودم تقديسنا وإفخارستيَّتنا.

فقبل أن يسيل دم الابن الوحيد على الصَّليب، **خلاصاً وغفراناً** لكلِّ العالم، لا نستطيع أن نقيم ذبيحة الإفخارستيَّا، والتي هي بعينها ذبيحة الصَّليب، والتي نقول عنها: إنها تعطى عنَّا **خلاصاً وغفراناً** للخطايا، وحياة أبديَّة لكلِّ المتناولين منها.

ولكن يعترضنا الحدث الجلل في يوم الخميس الكبير، والذي أسَّس فيه الرَّب سرَّ العشاء الأخير، حينما قدَّم جسده لتلاميذه قائلاً لهم «خذوا كُلوا، هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري» (مرقس ١٤:٢٢، لوقا ١٩:٢٢). وأيضاً حينما قال لهم: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفَك عنكم» (لوقا ٢٠:٢٢). ومن ثمَّ فلابد للكنيسة أن تقيم تذكار هذا الحدث العظيم بإقامة سرِّ الإفخارستيَّا. فكان حتماً أن تخضع طقوس هذا اليَوم للموازنة الدَّقيقة غاية

٣٨- مثل مخطوط رقم (طقس ٤٩/ سميكه ١٦٢/ جراف ٦٧) بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة. وقد كمُل ترميم هذا الكتاب المبارَك في يوم الجُمعة ١٨ مسرى سنة ١٦١١ قبطيَّة (الجُمعة ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٥م)، وذلك بأمر واعتناء قداسة سيِّدنا الأب البطريرك أنبا كيرلُّس الخامس في الأسماء والثَّاني عشر بعد المائة من عدد بطاركة الإسكندريَّة (١٨٧٤- ١٩٢٧م) ... الخ. وقد أوقفه القُمُّص بطرس المحرَّقاوي على كنيسة السيِّدة العذراء مرتميم بمدينة حلوان مركز ومديرية الجيزة في ٣ مسرى سنة ١٦٣٠ شهداء (الأحد ٩ أغسطس ١٩١٤م).

الدِّقة، بين **ضرورة إقامة الإفخارستيَّا في هذا اليَوم، بحسب وصيَّة الرَّب، وضرورة عدم إقامتها في ذات الوَقت**، لأنَّ ذبيحة الصَّليب لم تتم بعد. ومن ثمَّ، وُضعت طقوس صلوات هذا اليَوم المقدَّس، التي وزنت بين هذين المتضادَّين، بميزان حسَّاس غاية الحساسيَّة.

الملاحظة الجوهريَّة الثَّانية

إنَّ **الهدف الأساسي والجوهري** من الممارسات الطَّقسيَّة التي تنفرد بها ليتورجيَّة هذا اليَوم المقدَّس، هو **إظهار العلاقة الكَينيَّة التي تربط بين ذبيحة العشاء الأخير، وذبيحة الصَّليب**. فكلاهما ذبيحة واحدة لا يمكن فصل إحداهما عن الأُخرى بأيِّ حال من الأحوال، إذ لا يمكن أن تكتمل إحداهما بمعزل عن الأُخرى. فالرَّب حين قدَّم لتلاميذه جسده مكسوراً، ودمه مسفوكاً، في يوم العشاء الأخير، فقد فعل ذلك من وراء الزَّمن، على اعتبار أنَّ ذبيحة الصَّليب حاضرةٌ وماثلةٌ أمامه، لأنَّ أعمال الرَّب الخلاصيَّة التي عملها من أجل خلاصنا، هي أعمالٌ إلهيَّة، لا يمكن أن تقع تحت وطأة الزَّمان أو المكان.

فإن كانت ذبيحة الصَّليب قد تمَّت في مكان ما، خارج أسوار أورشليم، وفي زمان ما، ظهيرة يوم من الأيام، فهي في حقيقتها السِّرِّيَّة ذبيحة أزليَّة أبديَّة. وهي حاضرةٌ في أيِّ مكان وفي أيِّ زمان تُقام فيها ذبيحة الإفخارستيَّا. «افتُديتم ... بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً **قبل تأسيس العالم**، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بطرس ١:١٩، ٢٠). «كم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح **أزلي** قدَّم نفسه لله» (عبرانيِّين ٩:١٤). «دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداء **أبديًّا**» (عبرانيِّين ٩:١٢).

ففي كلِّ مرَّة تقيم فيها الكنيسة ذبيحة الإفخارستيَّا، فهي تقيم بالفعل ذبيحة الصَّليب عينه، ليس بمعنى تكرار ذبيحة الصَّليب، بل بمعنى ديمومة فعلها الحي الدَّائم كلَّ حين، والممتد في الكنيسة إلى أبد الآبدين.

ومن ثمَّ، فإنَّ كلَّ تأمُّل أو تفسير لواحدة من الممارسات الطَّقسيَّة في ليتورجيَّة هذا اليَوم – مهما كان هذا التَّأمُّل أو هذا التَّفسير – يتداعى أمام هذا الهدف الأساسي والجوهري الذي تخدمه الممارسات الطَّقسيَّة في هذا اليَوم، وهو **إظهار وحدة ذبيحة العشاء الأخير والصَّليب**.

فذبيحة الإفخارستيَّا التي تقيمها الكنيسة في أيِّ وقت على مدى السَّنة اللِّيتورجيَّة، تجمع فيها ذبيحة العشاء الأخير مع ذبيحة الصَّليب، في وحدة واحدة، لأنهما ذبيحة واحدة. ولكنَّنا الآن، وفي هذا الأسبوع الأخير، نعايش المسيح له المجد في أحداثه الأخيرة على الأرض، ساعة بساعة، بل ولحظة بلحظة. ولأننا لازلنا نعيش أحداث يوم الخميس الكبير، لأنَّ ذبيحة المسيح على الصَّليب لم تتم بعد، إذ لم يأت يوم جُمعة الصَّليب بعد، فمن ثمَّ، كان لابد لطقوس صلوات هذا اليَوم العظيم، أن تعالج أو توازن بين هذَين المتضادَّين.

هذه نقطة جوهريَّة، يلزم أن يضعها القَّارئ أمام عينيه دائماً، وهو يتابع شرح طقوس صلوات هذا اليَوم المقدَّس.

وتبقى ملاحظة أخيرة، قبل الحديث عمَّا تذكره مصادرنا الطَّقسيَّة، ومخطوطاتنا القبطيَّة عن خدمة هذا اليَوم. فكلُّها تتكلَّم عن طقس القرن الثَّالث عشر وما بعده. ولكن لدينا من قوانين لبطاركة الكنيسة القبطيَّة، ما يُثبت أنَّ **طقس منتصف القرن الحادي عشر وما قبله، كان هو الطَّقس الأكثر دقَّة**، قبل أن تستجد عليه بعض عناصر ليتورجيَّة، دوَّنها ناسخ، وتناقلها النُّسَّاخ عنه. وهو ما سأحاول توضيحه فيما يلي.

وفيما يلي بعضاً من الملاحظات الطَّقسيَّة في خدمة قُدَّاس هذا اليَوم العظيم

- **تقديم الحَمَل بدون ترديد مرد "كيريالیسون"**

وتأويل خاطئ عن الحَمَل الصَّامت بالاعتماد على قول إشعياء النَّبي (٥٣:٧)، بسبب سقوط التَّاريخ الطَّقسي لهذه الجزئيَّة، حيث اللي القُربان الذي كان يحتل هذا الوقت من الصَّلاة، كمقدمة للمرد "هلليلويا هذا هو اليَوم ... الخ".

- **ما يختص بصلوات التَّحليل في قُدَّاس الإفخارستيَّا**

لقد سبق الحديث عنه في البند السَّادس عند الحديث عن صلوات لقَّان خميس العهد. وأمَّا القَول الفَصل الذي يدعم هذه الجزئيَّة من الطَّقس هو القانون رقم (١٢) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧–١٠٧٧م)، السَّادس والسِّتين من بطاركة الكنيسة القبطيَّة، حيث يقول القانون المذكور:

''... ويكون القُدَّاس يوم الخميس الكبير، برهبة وخوف وسكون، بغير تقبيل[٣٩] ولا مصافحة، ولا بروسفارين[٤٠]، بل يُقال عوضه ماطافوبو[٤١] **بغير تحليل لا في الأوَّل**[٤٢] **ولا في الآخر**[٤٣]''[٤٤].

وهنا تنجلي الحقيقة التي غابت من التَّقليد اللِّيتورجي القديم للكنيسة القبطيَّة، فارتبكت بسبب غيابها التَّعليمات الطَّقسيَّة المدوَّنة في كُتُب الطَّقس المختلفة، سواء المخطوطة أو المطبوعة. فشُكراً للبابا خريستوذولوس (١٠٤٧–١٠٧٧م)، ولقوانينه، التي حفظت لنا جزئيَّة غالية في طقس يوم الخميس الكبير.

وعند هذا الحد، يتَّضح لنا التَّقليد اللِّيتورجي الأصيل في خدمة هذا اليَوم المقدَّس، وهو توقُّف صلوات التَّحليل فيه. وإنَّ خلُو قُدَّاس اللقَّان ليوم الخميس الكبير من أيِّ صلوات تحليل في مخطوط 'المجموع المبارَك' لابن كَبَر، يدعم هذا الطَّقس القديم لخدمة هذا اليَوم المقدَّس.

- **لا تُقال أوشيَّة القرابين في قُدَّاس الإفخارستيَّا في هذا اليَوم**[٤٥]

وهي من أهم الملامح الطَّقسيَّة بحسب التَّقليد اللِّيتورجي القديم والتي سقطت من الطَّقس الحالي في خدمة هذا اليَوم. فتوقُّف القُبلة المقدَّسة في خدمة هذا اليَوم، يعني توقُّف نداء الشَّماس أيضاً: ''قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة''، وتوقف هذا النِّداء يعني توقف تقديم القرابين أيضاً، لأنَّ القرابين التي يقدِّمها الشَّعب، وهي الخُبز والخمر، لتكميل سرِّ الإفخارستيَّا، لا يمكن أن تكون إلاَّ من داخل المحبَّة. فبعد أن يُقبِّل الشَّعب بعضه بعضاً بقُبلة المحبَّة، يُقدِّم قرابينه لكي تُرفع على المذبح. وأعرفُ مُسبقاً استغراب القَّارئ ممَّا قرأه للتَّو، ولكنَّه هو تقليد الكنيسة المحفوظ فيها بقانون كنسي للبابا خريستوذولوس (١٠٤٧–١٠٧٧م)، في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وهو البطريرك رقم (٦٦) من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. فبحسب القانون رقم (١٢) للبابا خريستوذولُوس السَّابق الإشارة إليه، لا يقول الشمَّاس مرد ''قبِّلوا بعضكم بعضاً ...''. ولا يقول بعده: ''قدِّموا على الرَّسم''، بل يقول فقط: ''قفوا بخوف، وإلى الشَّرق انظروا، ننصت''.

وبحسب الطَّقس **القديم** الذي ساد في الكنيسة الجامعة، فإنَّ تقديم القرابين يرتبط تماماً بالقُبلة المقدَّسة، حيث يكون وقت تقديم القرابين بعدها مباشرة. ولكن حيث أنَّه لا وجود للقُبلة المقدَّسة في خدمة يوم الخميس الكبير، فلا يستطيع الشَّعب أن يُقدِّم قرابينه في هذا اليَوم، لأنَّ القُربان لا يُقبل في الكنيسة إلاَّ من داخل المحبَّة. وهي العادة التي ظلَّت مرعية في الكنيسة

٣٩– وهي قُبلة السَّلام. وكانت في القديم قُبلة حقيقيَّة، وفي التَّقليد القبطي الآن، ينحني الكاهن ناحية الشَّعب، ويلتفت كلٌّ واحد من الشَّعب ناحية الواقف إلى جواره، ويلمس كلٌّ منهما يد الآخر.

Cf. F.E. Brightman, *Liturgies Eastern and Western*, vol. 1, Eastern Liturgies, Oxford, 1967, p. 584-585.

٤٠– الكلمة اليونانيَّة Προσφέρειν (بروسفارين)، هي بداية مرد الشمَّاس: ''قدِّموا على الرَّسم ...''. ولأنَّ البابا خريستوذولوس يقول بعدم ترديد هذا الجزء من المرد في هذا اليَوم، فهذا يُفيد احتمال أنَّ الشَّعب لم يكن يقدِّم في هذا اليَوم بالذَّات تقدماته أو قرابينه المعتادة.

٤١– هذا هو النُّطق القديم للكلمة اليونانيَّة μεταφόβου (ميتافوفو) أي ''بخوف''، والإشارة هنا تعني أنَّ مرد الشمَّاس يبدأ بقوله: ''قفوا بخوف ...''، وهي العبارة الأخيرة من المرد: ''قبِّلوا بعضكم بعضاً بقُبلة مقدَّسة ... الخ''.

٤٢– أي تحليل الابن ''أيها السيِّد الربُّ''، وهو التَّحليل الثَّالث في المتن، وأيضاً تحليل الخُدَّام ''عبيدك خُدَّام هذا اليوم''، وهو التَّحليل الرَّابع في المتن.

٤٣– أي التَّحليل الذي يقوله الكاهن سرًّا في أواخر القُدَّاس بعد أبانا الذي، والمعروف باسم ''تحليل الآب''، والذي يبدأ بعبارة: ''أيها السيِّد الرَّب الإله ضابط الكُّل شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ...''. ويدعم هذا الأمر مخطوط رقم (قبطي ١٩) بالمكتبة الأهليَّة بباريس (القرن الثَّاني عشر الميلادي)، حيث يقول: ''يوم الخميس الكبير لا يقرأ في القُدَّاس إلاَّ الأبسطلس (أي فصل البولس) والإنجيل لا غير. وأوشيه السَّلام (أي صلاة الصُّلح) لا تقرأ. وتُقرأ الأمانة. وكلٌّ من الترحيم لا يُقرأ **والتَّحليل بعد القُربان لا يُقرأ**. بل يقرأ نبوة إشعياء وهي **Ϩⲏⲡⲡⲉ ⲉϥⲉⲕⲁϯ**'' (وهذه النُّبوَّة هي نبوَّة السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير).

٤٤– انظر للمؤلِّف كتاب: ''قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العُصور الوُسطى''.

٤٥– وتماشياً مع هذا التَّقليد القديم في خدمة هذا اليَوم، فإنَّ مرد الشَّماس الخاص بالقُبلة المقدَّسة، سواء في قُدَّاس الإفخارستيَّا، أو في قُدَّاس اللقَّان، هو فقط: ''قفوا بخوف وإلى الشَّرق انظروا. ننصت''. وهو ما أخفق فيه ابن كَبَر نفسه، حين أورد المرد ''قدِّموا على الرَّسم''. وهو ما أخفق فيه أيضاً معظم النُّسَّاخ الذين جعلوا المرد ''قبِّلوا بعضكم بعضاً''.

القبطيَّة على مدى القرون وحتى اليَوم. إذ يكون تقديم القرابين بعد القُبلة المقدَّسة.

ولكن في غضون القرن الرَّابع الميلادي، وبالتَّحديد في سنة ٣٤٨م، نقلت كنيسة أورشليم القُبلة المقدَّسة لتكون بعد تقديم القرابين وليس قبلها. وهو ما حدث في كنيسة أنطاكية في القرن الخامس الميلادي، حين تبنَّت كنيسة أنطاكية طقس كنيسة أورشليم في نقل تقديم القرابين ليكون قبل القُبلة المقدَّسة. وهو نفس ما حدث أيضاً في كنائس ما بين النَّهرين، وكنائس آسيا الصُّغرى، كما يصفها لنا أُسقُفها ثيؤدور (٤١٠م)[٤٦].

وفي غضون القرن الخامس أو السَّادس الميلادي، تبنَّت كنيسة القُسطنطينيَّة عادة كنيسة أورشليم. ومنها انتقلت هذه العادة إلى كلِّ كنائس الشَّرق[٤٧]. بينما ظلَّت كنيسة مصر وحدها حتى ذلك الوقت (أي القرن السَّادس الميلادي أو بعده)، تحفظ القُبلة في موضعها الطَّقسي القديم قبل التَّقدمة[٤٨].

أي أنَّ كنيسة الإسكندريَّة كانت آخر كنيسة في الشَّرق تُغيِّر الموضع الطَّقسي القديم للقُبلة لتكون بعد تقديم القرابين وليس قبلها. ومع ذلك ظلَّ مرد الشمَّاس في الكنيسة القبطيَّة محافظاً على التَّرتيب الطَّقسي القديم لهذه الجزئيَّة من القُدَّاس الإلهي، حين يأتي النِّداء بالقُبلة المقدَّسة، ثمَّ يعقبه مباشرة النِّداء بتقديم القرابين[٤٩].

أمَّا طقس كنيسة روما فقد نقل موضع القُبلة المقدَّسة من مكانها الطَّقسي القديم أي قبل التَّقدمة مباشرة، حيث نقلها إلى ما قبل التَّناول من الأسرار المقدَّسة، وذلك في غضون القرن الخامس الميلادي، وبالتَّحديد بعد سنة ٤١٦م. وانتقل هذا التَّأثير الرُّوماني إلى كنائس شمال إفريقيا، وكنائس غربيَّة أُخرى.

وهنا نكتشف أنَّ البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) كان مصيباً ودقيقاً غاية الدِّقَّة، حين يقول في قانونه الثَّاني عشر السَّابق ذكره: ''ويكون القُدَّاس يوم الخميس الكبير برهبة وخوف وسكون، بغير تقبيل ولا مصافحة، **ولا بروسفارين** ... الخ''. ومن هنا تبرز لنا أهميَّة هذه القوانين التي وضعها بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العُصور الوُسطى، لأنَّها تقنين لطقس الكنيسة القبطيَّة الذي ساد فيها في قرونها الأولى، حتى القرن الحادي عشر الميلادي على أقل تقدير.

ولكن لا يخفى علينا أنَّ توقُّف الشَّعب عن تقديم قرابينه في ليتورجيَّة هذا اليَوم، لا يتعارض مع تقديم القرابين على المذبح، لأنَّ قرابين الشَّعب، لم تكن خُبزاً وخمراً يُقدَّمان في هذه اللَّحظة عينها للتَّقديس عليهما، بل كلّ ما يلزم الكنيسة لقيام خدمتها كاملة، وما أكثر هذه العطايا والقرابين. حتى أنه كان غير مسموح لأحد من الشَّعب أن يحضر إلى الكنيسة للاشتراك في صلوات القُدَّاس الإلهي، بدون أن يقدِّم أيَّ قرابين. ويذكر لنا البابا أثناسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م) في قانونه رقم (٨٤) وهو بعنوان: **"من أجل أنَّ الصَّدقة لازمة لكلِّ أحد"**، فيقول:

''الرَّبُّ ليس محتاجاً إلى قرابين، ولكنَّه يريدنا أن نطلبه، وهو لا يتعلَّق بالأشياء ولكنَّه متعلِّق بنا. فماذا نصنع بما لنا إذا لم نشارك الله فيما هو لنا؟ فحتى لو كان واحدٌ فقيراً مثل أرملة إيليَّا، أو مريضاً مثل المقعد الذي كان يتصدَّق، يجب أن يكون عنده ما يقدِّمه لله عن نفسه، حتى ولو كان الذي يعطيه قليلاً فإنه يكون له تذكاراً. لأنَّ ليس الذي يعطي الذَّهب للهيكل هو الذي يُذكر فقط، بل والذي يُعطي كوز فخار، أو خبزاً، أو قليلَ خمر، أو وعاءً للماء، أو حتى الذي يملأ حوض الماء للتَّغطية، فإنَّ الله يذكره مثل الذي يُعطي مالاً كثيراً كقدرته''. فإلى هذا الحد كانت الكنيسة تهتم بأن يقدم كل واحد من الشَّعب أي قرابين في خدمة القُدَّاس الإلهي. وهنا تتضح لنا عظم طلبة الكنيسة: ''اذكر يارب الذين قدموا لك هذه القرابين ... أعطهم

46- Theodore, *Catecheses*, v. ; Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 109.

٤٧- بل قد انتقل طقس كنيسة القُسطنطينيَّة في هذه الجزئيَّة إلى الغرب أيضاً حيث تبنى الطَّقس الموزارابي في إسبانيا الطَّقس البيزنطي بخصوص القُبلة المقدَّسة، مع بعض الطُّقوس البيزنطيَّة الأُخرى، ربَّما في القرن السَّادس الميلادي كنتيجة لاحتلال إسبانيا بواسطة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة تحت قيادة جستنيان Justinian .

Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 109.

48- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 109.

٤٩- نفس هذا الأمر بعينه تكرَّر في كنيسة ميلان في الغرب، إذ أنَّ كنيسة ميلان قد تبعت كنيسة روما في ترحيل القُبلة المقدَّسة إلى أواخر القُدَّاس لتكون قبل التَّناول، برغم أنَّ الشمَّاس في كنيسة ميلان حتى اليَوم، ما زال يُعلن النِّداء بالقُبلة في موضعه الطَّقسي القديم قبل التَّقدمة.

Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 110.

كلهم الأجر السَّمائي''.

والآن يلزم التَّفريق بين تقديم الشَّعب لقرابينه على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة في هذا الوَقت من القُدَّاس، بحسب الطَّقس القديم جدًّا، والتي يلخِّصها المرد ''قدِّموا على الرَّسم''، وتوقف تقديمها في قُدَّاس هذا اليَوم فقط، وبين القرابين التي تُرفع على المذبح في هذا اليَوم، وهي الخُبز والخمر فقط.

ولكن يبقى أمامنا أمرٌ واحدٌ في هذه الجزئيَّة، وهو أنَّ البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) حين يقول بعدم ترديد الشمَّاس للمرد ''بروسفارين'' أي ''قدِّموا على الرَّسم''، لم يقُل بعدم ترديد الكاهن لأوشيَّة القرابين، التي تأتي في نهاية صلوات الأواشي، والتي كان يلزم أن تتوقَّف هي الأُخرى في خدمة هذا اليَوم، لأنَّه كيف يقول الكاهن: ''اذكر يارب الذين قدَّموا لك هذه القرابين ... الخ''، وفي ذات الوَقت غير مسموح للشَّعب بتقديم قرابينه في هذا اليَوم؟

إنَّ التَّطوُّر الطَّقسي الذي طال بعض الممارسات اللِّيتورجيَّة في القُدَّاس الإلهي، والذي هو بمثابة طبقات متراصَّة فوق بعضها البعض، تفصل بينها عشرات بل قُل مئات السِّنين أحياناً، مع ضياع مئات من مخطوطاتنا، أو حرقها، أو تلفها، قد جعل من شرح بعض الممارسات الطَّقسيَّة أمراً في غاية المشقَّة، إن كنَّا لا نعرف معرفة واضحة ودقيقة لتاريخ الطُّقوس، ومراحل تتابعها وتطوُّرها البطيء.

- **لا يُقال مجمع القدِّيسين في قُدَّاس هذا اليَوم**

لأنه من البديهي أن يغفل طقس هذا اليَوم أيَّة تذكارات للقدِّيسين، كما سبق أن ذكرتُ. وهذا هو السَّبب الذي لأجله لا وجود لذُكصولوجيَّات القدِّيسين، ولا لأرباع النَّاقوس، ولا لأيِّ ترحيم أيضاً. فهذه كلُّها صارت بموت المسيح على الصَّليب، الذي لم يتم بعد، بحسب رؤية آباء الكنيسة في طقس هذا اليَوم المقدَّس.

والمتابع المدقِّق لصلوات الكنيسة في هذا الأسبوع المقدَّس، يلحظ أنَّ توقُّف تذكارات القدِّيسين، يبدأ عقب الانتهاء من صلوات التَّجنيز العام في نهاية قُدَّاس أحد الشَّعانين، ويمتد حتى إلى السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة، وهي ساعة نزول المسيح إلى الجحيم، ليُخرج منه الذين قبلوا كرازته لهم بالخلاص. ففي هذه السَّاعة التَّاسعة، وفي غضون القرن الثَّالث عشر الميلادي تقريباً، بدأ يدخل إلى الطَّقس القبطي، قراءة فصل من رسائل البولس، بمقدِّمته: ''من أجل قيامة الأموات الذين رقدوا في إيمان المسيح، يارب نيِّح نفوسهم أجمعين''. وهي إحدى الإضافات الجيدة التي دخلت الطَّقس الكنسي، إذ أنها تتبع التَّقليد العام لهذه الأيام المقدَّسة، ولكنَّها إضافة دخلت إلى الطَّقس ببطء شديد، حيث ظلَّت كثير من الكنائس لا تعرف قراءة فصل البولس في هذه السَّاعة حتى إلى ما بعد القرن السَّادس عشر الميلادي.

ويشير ابن سباع في إشارة مبدعة له، أنه يُقرأ فصل البولس في السَّاعة السَّادسة من يوم الجُمعة العظيمة، ولا يُقال أوَّله ''من أجل قيامة الأموات ... الخ''. وهو نفس ما يذكره ابن كَبَر الذي يقول: ''ويقرأ الأبسطلس بلحن التَّجنيز بغير بدء''. ممَّا يتَّضح معه أن مقدِّمة فصل البولس في السَّاعة السَّادسة من يوم الجُمعة العظيمة: ''رسالة معلِّمنا بولس بركته المقدَّسة تكن معنا آمين. من بولس عبد ربِّنا يسوع المسيح، الرَّسول المدعو، المفرَز لبُشرى الله'' هي مقدِّمة قد عُرفت في الكنيسة بعد القرن الرَّابع عشر الميلادي.

إنَّ مقدِّمة فصل البولس التي تُقال بلحن جنائزي، في السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة، قد قيلت من قبل في صلاة التَّجنيز العام عقب قُدَّاس أحد الشَّعانين، وجاء فصل البولس هناك، منطبقاً عليها غاية التَّطابق، وذلك حين يقول: «... لأني سلَّمتُ إليكم أوَّلاً ما قد أخذت، أنَّ المسيح مات عن خطايانا كما في الكُتُب ... والآن فقد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة المضطَّجعين، وكما أنه بإنسان كان الموت، كذلك بإنسان آخر تكون قيامة الأموات. وكما أنه في آدم يموت الجميع، كذلك في المسيح أيضاً سيُحيا الجميع، كلٌّ واحد وواحد في رتبته» (١كورنثوس ١٥:١-٢٣).

وأمَّا الآن، ونحن في السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة، مركز آلام المسيح وبؤرتها، منحصرين في موته وطاعته للآب حتى إلى موت الصَّليب، فهذا هو محور فصل البولس هنا، وذلك حين يقول: «فليكُن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح

يسوع أيضاً، الذي إذ هو في صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاساً، لكنَّه ... وضع ذاته وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبي ٢:٤-١١)[٥٠].

ولهذا، فإنَّ أيَّ صلوات يرد فيها تذكاراً للشُّهداء والقدِّيسين خلال الفترة من نهاية التَّجنيز العام وحتى السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة، هو دليل على أنَّ هذه الصَّلوات أو الطِّلبات، هي إضافات حديثة على الطَّقس، لا تعي التَّقليد القديم الذي رعته الكنيسة طيلة قرونها السَّابقة.

وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ الكنيسة لم تلغ أيَّة أواشي أو صلوات تختص بالكنيسة الحاضرة، حيث تُقال الثَّلاث أواشي الكبار، وهي سلام الكنيسة والآباء والاجتماعات، وتُقال الأواشي أيضاً في أواخر القُدَّاس الباسيلي، وهي تختص بأعضاء الكنيسة المنظورة، أمَّا أعضاؤها غير المنظورين، فقد أرجأت الصَّلاة من أجلهم في قُدَّاس هذا اليَوم.

- **لا يُقال التَّرحيم في خدمة قُدَّاس هذا اليَوم**

وذلك بحسب النَّص الواضح من القانون رقم (١١) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، السَّابق ذكره، وبحسب نص ما يذكر ابن سباع أيضاً، حيث يقول: ''... خدمة القُدَّاس التي للعشاء السِّري (تكون) من غير قراءة أسبسمُس لأجل قبلة يهوذا، ولا ترحيم لأجل أنَّ التَّرحيم والتَّجنيز يُقدَّم ذكره في يوم أحد الشَّعانين حتى لا يشارك حُزن المسيح حُزن اخر معه ...''[٥١]. ولكن السَّبب الأساسي كما ذكرتُ غير مرَّة، هو أنَّ المسيح لم ينزل إلى الجحيم بعد ليُخرج الذين قبلوا خلاصه، وينقلهم إلى الفردوس.

- **لا يُقال "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيِّحهم ... الخ"**

ذلك لأنَّ الكنيسة تعيش في هذا اليَوم الحدث الخلاصي، وكأنَّه يحدث لأوَّل مرَّة. فلم يكُن الصَّليب قد تمَّ بعد، و لم يكُن دم المسيح قد أُهرق بعد. ومن ثمَّ، فلم يكُن المسيح قد نزل بعد إلى الجحيم من قِبَل الصَّليب، ليُخرج منه الذين قبلوا كرازته بالخلاص. وهو ما يقوله بطرس الرَّسول: «فإنَّ المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن محيي في الرُّوح. الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السِّجن، إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرَّة في أيام نوح، إذ كان الفُلك يُبنى، الذي فيه خَلُص قليلون أي ثماني أنفس بالماء» (١بطرس ٣:١٨-٢٠).

والجدير بالذِّكر هنا، أنَّ النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي يقول في هذه الجزئيَّة: ''أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيِّحهم ἀνάπαυσον وأهلهم καταξίωσον لملكوت السَّموات. وأمَّا نحن الغرباء ... الخ''.

كما أنَّ النَّص القبطي للقُدَّاس الباسيلي الذي نُصلِّي به حتى اليَوم، يقول ما يلي باستثناء ما ورد بين قوسين وتحته خط: ''أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيِّحهم (في فردوس النَّعيم في كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السَّمائيَّة) في ذلك الموضع. ونحن أيضاً الغرباء ...''. ولا يخفى علينا أنه لا علاقة بين فردوس النَّعيم وبين أورشليم السَّمائيَّة. وهو ما يريك ما كان يفعله النَّاسخ القبطي غير الحاذق، وعنه ينقل الجميع!!

فموت المسيح على الصَّليب هو الذي فتح باب الفردوس، وهو الذي أصعد المقبوض عليهم في الجحيم، والذين قبلوا كرازته ليدخلوا الفردوس، كما نقول في القُدَّاس الإلهي: ''نزل إلى الجحيم من قِبَل الصَّليب''. أي أنَّ موت المسيح على الصَّليب صار هو بداية حياة الكنيسة غير المنظورة، أي كنيسة الأنبياء والشُّهداء والقدِّيسين والأبرار المنتصرين[٥٢].

والملاحظة التي أودُّ الإشارة إليها هنا – وهي خطأ شائع في كنائسنا اليَوم – هي أنَّ القطعة التي سبق ذكرها، والتي يقولها الكاهن ''أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم ...''، تُختم دائماً في كافة مخطوطات الخولاجيَّات بل وفي الخولاجي المطبوع

٥٠- هذا هو فصل البولس الذي استقرَّ في القطمارُسات المطبوعة، بعد تأرجحه في المخطوطات قيد الدِّراسة. وكان في القديم بحسب المخطوطات (٢كورنثوس ٥:١٦-٦:٢).

٥١- يوحنَّا بن أبي زكريَّا بن سباع، مرجع سابق، ص ٣٣٣، ٣٣٤

٥٢- شرحتُ هذه الجزئيَّة بتفصيل، عند الحديث عن السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة، وهي ساعة موت المسيح على الصَّليب، ونزوله إلى الجحيم.

سنة ١٩٠٢م بعبارة ''واهدنا إلى ملكوتك''. حيث يأتي بعد ذلك المرد ''كما كان كذلك يكون ... الخ''.

وهذا التَّعبير ''واهدنا إلى ملكوتك'' لا يوجد إلاَّ في القُدَّاس الباسيلي القبطي فقط، أمَّا قول الكاهن: ''لكي وبهذا كما أيضاً في كلِّ شيء ...''، فهي صلاة معروفة في الثَّلاثة قُدَّاسات القبطيَّة.

وإنَّ النَّص القبطي الصَّعيدي للقُدَّاس الباسيلي لمخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي يعود إلى القرن السَّادس الميلادي، يذكر نفس الأمر، حيث يقول: '' أولئك نيِّحهم عندك. أمَّا نحن الغرباء هنا فاحفظنا في إيمانك، وأهدنا إلى ملكوتك''.

وهذه القطعة كلُّها تُلغى في قُدَّاس هذا اليَوم، بما فيها عبارة ''واهدنا إلى ملكوتك''. لأنَّ الملكوت لم يُفتح بعد، لأنَّ الصَّليب لم يصر بعد.

أمَّا الخطأ، فهو أننا قد نقلنا تعبير ''واهدنا إلى ملكوتك''، لما بعد مرد ''كما كان هكذا يكون ...''، فصار للمرد مفهوم ليتورجي غير المفهوم المقصود به، كأنَّه مرد يختص بالمنتقلين والأحياء، وهو في الحقيقة مردٌ يختص بالله نفسه. فالنَّص اليوناني للمرد يقول: ''كما كان ...'' أي ''كما كان (هو ην)[٥٣] هكذا يكون ...''. فهو مرد تسبيح وتقديس لله الآب الذي هو هو أمساً واليَوم وإلى الأبد، وحيث تمجيد الآب، فهناك أيضاً وبالضَّرورة تمجيد الابن والرُّوح القُدُس. لأنَّ «من لا يُكرم الابن، لا يُكرم الآب الذي أرسله» (يوحنَّا ٥:٢٣)، وأيضاً في قول الرَّب «أنا والآب واحد» (يوحنَّا ١٠:٣٠). فهو إذاً مردٌ ختاميٌّ للأنافورا كلِّها، في تسبيح وتمجيد الثَّالوث.

لأنَّه لو كان هذا المرد المذكور يختص بالمنتقلين، لكانت الكنيسة قد ألغته في خدمة قُدَّاس يوم خميس العهد، لأنَّه لا ترحيم في خدمة هذا اليَوم كما سبق أن ذكرتُ غير مرَّة. وهذا يريك دقَّة التَّقليد الآبائي الذي حفظ لنا الطَّقس الكنسي في كثير من دقائقه اللِّيتورجيَّة.

- **أمَّا من جهة التَّناول من الأسرار المقدَّسة في هذا اليَوم**

عند ابن سباع نقرأ: ''يستتم (يُتمَّم) القُدَّاس على سياقه إلى نهايته، ويُقرَّب الشَّعب''. بدون أن يضيف أيِّ شيء آخر خلافاً لذلك.

وأمَّا ابن كَبَر (+١٣٢٤م) بحسب مخطوط رقم (٤٨٦ شرقي) أو ترقيم قديم (vet. 12) بمكتبة جامعة أوبسالا Upsala (السِّويد)، والذي تَمت نساخته في سنة ١٥٤٦م. فنقرأ: ''ويُكمَّل القُدَّاس، ويُقرَّب الشَّعب، ولا يُقال مزمور ١٥٠ ، ولا تسريح، بل فصلٌ من نبوَّة إشعياء النَّبي، وفصل من المزمور، وفصل من إنجيل يوحنَّا بلحن التَّجنيز، وهو ٣٢ منه''. وواضحٌ أنَّ ابن كَبَر يحصُر ما يُقال أثناء التَّناول، في نبوَّة واحدة، وآيات من مزمور، وفصل من الإنجيل بلحن التَّجنيز.

وهذا هو بعينه ما تذكره مخطوطات القطمارُسات الأخرى[٥٤]، إذ تورد نبوَّة واحدة فقط. ولكن الملاحظة الجديرة بالانتباه هنا، والتي لم أجد تفسيراً لها حتى الآن، هي أنَّ هذه المخطوطات تضع نبوَّة إشعياء النَّبي (٥٢:١٣-٥٣:١-الخ) لتُقرأ بعد المزمور وفصل الإنجيل. ولاحظ أنَّ أيَّاً من هذه المخطوطات، هي مخطوطات قطمارُسات، أي أنَّ القَّارئ سيلتزم حتماً بهذا التَّسلسل. كما يجب أن نلاحظ أيضاً، أننا إزاء طقس قديم يرقى إلى القرن الثَّاني عشر الميلادي. وفوق هذا، إذا ربطنا ما يقوله ابن كَبَر، بما تذكره مخطوطات القطمارُسات المذكورة، نجد أننا لسنا إزاء تتميم السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير، كما يجري في سواعي البَصخة، بل ينحصر الطَّقس في قراءات من آيات من المزامير، ثمَّ فصل الإنجيل المقدَّس، ثمَّ نبوَّة من إشعياء النَّبي. ربَّما يكون هذا هو الطَّقس القديم. وهو ما يدعمه ''مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)''.

ولكن مع حلول القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت مخطوطات ترتيب البيعة تذكر أنه تصلى السَّاعة الحادية عشرة من يوم الخميس الكبير أثناء التَّناول من الأسرار المقدَّسة في خدمة هذا اليَوم.

٥٣- أي ''الآب''. ويأتي هنا في صيغة ضمير العاقل الغائب.

٥٤- أي ''مخطوط قطمارس أنبا أنطونيوس (ق ١٢)''، و ''مخطوط قطمارس لندن (ق ١٣)''، و ''مخطوط قطمارس باريس (ق ١٤)''.

هذه هي بعض السِّمات الأساسيَّة في طقوس صلوات يوم خميس العهد في الكنيسة القبطيَّة.